مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية

المجلد الثالث العدد الثاني

ديسمبر 2025

(دوريّة علميّة محكّمة نصف سنويّة)

ISSN 3006-7547 (Print)
ISSN 3006-7553 (Online)

الجمهورية اليمنية - شبوة - جامعة شبوة

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 3, Issue 2, December 2025
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الثالث، العدد الثاني، ديسمبر 2025م

الانحرافات الصوفية وأثرها العقدي في سقوط الدولة العثمانية

بيان عبد الرحمن العثماني
باحثة
جامعة الملك عبد العزيز، جدة

الملخص

يستهدف هذا البحث الوقوف على أهم الانحرافات العقدية للتصوف، ومعرفة دور التصوف المنحرف في سقوط الدولة العثمانية، وتكمن أهميته في أن غالب الأحوال العقدية في عصر آل عثمان نجدها حاضرة في زماننا، فكان لا بد من دراسة الانحرافات العقدية؛ صيانةً وحمايةً للعقيدة الإسلامية. وقد استلزمت طبيعة الموضوع الجمع بين أكثر المناهج المتبعة في الدراسات العلمية النظرية. وقد خلص البحث إلى نتائج عدَّة، منها: أنَّ جُلَّ الدراسات التي ناقشت سقوط الدولة العثمانية اهتمت بالناحية التاريخية، وأغفلت الجانب العقدي المهم في سقوط الدولة العثمانية. كما قد تعددت انحرافات التصوف العقدية التي كان لها أثرها في سقوط الدولة العثمانية، فكان من أبرزها اعتقاد المتصوفة بعقيدة وحدة الوجود. اعتمد المُتصَوِّفة على مصادرَ مخالفة للقرآن والسنة، وقد ترتَّب على ذلك انحرافُهم في أصل التوحيد، فانتشر بينهم الجهل والبِدَع والأمور الشركية.

معلومات البحث

تاريخ الاستلام:2025/06/15
تاريخ القبول:2025/07/30
تاريخ النشر:2026/01/03

الكلمات المفتاحية

الدولة العثمانية، التصوف، الشرك

المقدمة: إنَّ الانحراف عن العقيدة الصحيحة مَهلكة وضياعٌ، وقد عُدَّ الفرد الذي بلا عقيدة فريسة للأوهام والشكوك التي تتراكم عليه، ولا يقلُّ حال المجتمع الذي لا تسودُه العقيدة الصحيحة عن ذلك، فالانحرافُ عن المنهج القويم في مجتمعٍ ما يُؤدي إلى تفكُّكه وسقوطه[1]، "وبمقدار تمسُّك الأمة وأفرادها بالعقيدة السليمة يُكتب لهذه الأمة البقاء بشخصيتها المستقلة دون الذوبان في الأمم الأخرى"[2]، وكذلك بمقدار تمسُّك مجتمع ما بالعقيدة الإسلامية الصحيحة يكتب له البقاء والاستمرارية، وليس أدلّ على ذلك مِن فِعْل اليهود والنصارى، فحين ابتعدوا عن شرع الله، وحرَّفوا وبدَّلُوا ما أُنزل إليهم مِن ربهم، أهْلَكَهُم الله تعالى جزاءً بما فعلوا.

وحين كان التصوُّف انحرافًا عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، كان أحد أسباب سقوط الدولة العُثمانية[3]: انتشار التصوُّف في الدولة، وسعة نفوذ مشايخه، وتعدُّد طرقه، وقد عبَّر المؤرخون عن مدى نفوذ المتصوفة وتأثيرهم في الشعب والسلاطين العثمانيين؛ بوصفهم التصوُّف في العصر العثماني أنه كان يُمثِّل دولةً داخل دولة. فجاء عنوان هذا البحث: (الانحرافات الصوفية وأثرها العقدي والاجتماعي في سقوط الدولة العثمانية: دراسة تحليلية نقدية).

---

[1] انظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يُضادها (ص13) صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى 1434هـ

[2] عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص33) محمد أحمد ملكاوي، رسالة قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود لنيل درجة الماجستير، إشراف: عبد الله الغديان

[3] تعددت انحرافات التصوف، لكن الجانب المهم والذي يصبُّ في صلب الدراسة، الجانب العقدي؛ لذا اقتصرت الدراسة في هذا المبحث عليه.

©2025 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

مشكلة البحث: جاءت هذه الدراسة للإجابة عن عدد من الأسئلة، منها:

- هل كان للصوفية دور في سقوط الدولة العثمانية؟
- ماهي أهم الانحرافات الصوفية العقدية التي أدت دورًا في سقوط الدولة؟

أهمية البحث: تكمن أهمية الموضوع في: أولًا: أن الدولة العثمانية قدمت خدمات للإسلام والمسلمين طوال ثمانية قرون وأكثر، فلا يجحَدُ فضلَها إلا جاهلٌ. فكان سقوطها وهي التي استمرت طوال تلك القرون أمرًا يستحق النظر والتأمل.

ثانيًا: إن غالب الأحوال العقدية في عصر آل عثمان نجدها حاضرة في زماننا، فكان لا بد من دراسة الانحرافات العقدية؛ صيانةً وحمايةً للعقيدة الإسلامية، فالحفاظ على العقيدة الإسلامية أمر في غاية الأهمية، وإنَّ تسرُّب الخلل فيها قد يؤدي إلى سقوط دول كما في دولة الخلافة الإسلامية.

ثالثًا: أنه حين كانت الصوفية أحد الفرق التي استقرت في أرض آل عثمان كان لها وجودٌ وانتشار في الدولة العثمانية؛ فقد أدت دورًا مهمًا في سقوط الدولة، وإن كان هذا الدور لم يتسبب مباشرة في سقوط الدولة العثمانية وإنما كان ضمن أسباب عدة مثَّلتْ مجتمعة دورًا مهمًا في سقوط الدولة العثمانية.

أهداف البحث:

- الوقوف على أهم الانحرافات العقدية للتصوف.
- معرفة دور التصوف المنحرف في سقوط الدولة العثمانية.

منهج البحث:

– استلزمت طبيعة الموضوع الجمع بين أكثر المناهج المتبعة في الدراسات العلمية النظرية؛ إذ مزج البحث بين المنهجين التاريخي والوصفي، وكذلك المنهج النقدي، مع اعتبار التفاوت في درجة استخدامها من موضع لآخر.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

المبحث الأول: عقيدة وحدة الوجود وأثرها في سقوط الدولة العثمانية.

المبحث الثاني: انتشار الشرك والبدع في المجتمع العثماني وأثره في سقوط الدولة العثمانية.

الخاتمة وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: عقيدة وحدة الوجود وأثرها في سقوط الدولة العثمانية.

إنَّ المستقرئ لتاريخ الأناضول في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يتَّضح له مدى قابلية البيئة الأناضولية آنذاك لظهور أديان ومعتقدات مخالفة للإسلام الذي يدين به السَّلاجِقة الحاكمون للمنطقة، لا سيما قُبيل الغزو المغولي وفي أثنائه في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ وذلك بسبب الهجرات الوافدة على الأناضول، ووصول عدد مِن الجماعات والأشخاص متعدِّدي الديانات والمعتقدات؛ فرارًا مِن الغزو المغولي

لبلادهم[4]، وكانت الوفود القادمة للأناضول – مِن ناحية المعتقد – على ثلاثة أنواع:

أ/ أشخاص مسلمون ذوو خلفيات عقدية مُستقاة من الديانة الهندوسية والبوذية؛ وذلك نظرًا لطبيعة البيئة التي كانوا بها؛ إذ غالبًا ما تضم بيئاتهم أشخاصًا يدينون بهذه الديانات، فتأثر إسلامهم ببعض معتقدات أصحاب هذه الديانات.

ب/ أشخاص لا يدينون بالإسلام؛ سواء كانتْ ديانتهم سماوية؛ كاليهودية والنصرانية، أو كانت ديانات وثنيَّة.

ج/ كما كان من الوافدين بعضُ الأشخاص المقيمون في بلاد فارس وخراسان، المعقل الأول للتصوف، فانتقل عددُ مِن أتباع الطرق والجماعات الصوفيَّة المتعدِّدة الأشكال والألوان لمنطقة الأناضول؛ مما نتج عنه دعوتهم لمعتقدهم الصوفي في أرض الأناضول المسلمة آنذاك[5].

وبالنظر للطرق الصوفيَّة الوافدة إلى بلاد الأناضول، فإنها تنقسم على ثلاثة أصناف:

1/ طرق صوفية تأثَّر أصحابُها بمعتقدات وثنية، فاصطبغتْ طرُقهم بعدد مِن الاعتقادات الوثنية الباطلة؛ كالزِّرادشتية، وأديان الهند السحيقة.

2/ طرق صوفية تأثر أصحابها بأقوال الفلاسفة ومعتقداتهم، فاستصحبوا أقوالهم، وأضافوها لطُرُقهم الصوفيَّة.

3/ طرق صوفية جمع أصحابها بين العقائد الشِّيعية الباطنية وبين العقائد الصوفيَّة [6].

ومع بداية استيطان الأتراك للأناضول، أخَذَتْ أعداد الشيوخ والدراويش في ازدياد، واطَّرَد نفوذهم، ودخلوا في علاقات وثيقة مع السلطات الحاكمة؛ سواء كان ذلك في عهد سلاجقة الأناضول، أو بعد سقوط الدولة السَّلجوقية وبداية الحكم العثماني؛ مما ساعد على توطيد نفوذهم، وانتشار طُرُقهم ومعتقداتهم في العهد العثماني [7].

ويُمكن تقسيم الطرُق الصوفيَّة في الدولة العُثمانية على قسمينِ رئيسينِ:

القسم الأول: "يتضمن الطرُق المعروفة، التي لها تكايا تدعمها مداخيل الأوقاف المؤسسة مِن قِبَل السلطان وكبار رجال الدولة، والتي لها تنظيم واضحٌ وشعائر محدَّدة.

القسم الثاني: يضم الطرق الباطنية التي كانت تُعرَفُ عادةً باسم الملامية أو الملامتية، وكانت هذه الطرق لا تحظى في نظر الشعب بالاحترام والتقدير، وكانت أشكال عبادتها سرية باطنية، كما أنه لم يكن لها أي علاقة بالدولة، بل كانت بشكل ما في موقع المعارضة للدولة"[8].

وأول الطرق ظهورًا في الأناضول: الطريقة القلندرية أو الملامية، وهي بمثابة الطريقة الأم بالنسبة لما جاء بعدها مِن الطرق، فالطرق التي جاءتْ بعدها تعد فروعًا لها، وإن كانتْ هذه الطرق الفرعية أثرتْ بشكل كبير في الثقافة

---

[4] انظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، (171/2).

[5] انظر: قيام الدولة العثمانية (ص12) محمد فؤاد كويرلي، ترجمة أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي.

[6] انظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار (ص170).

[7] انظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (169/2).

[8] تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار (ص288).

التُّركية [9].

والناظر للطرق الصوفية في الدولة العثمانية يدرك أن جل الطرق الصوفية قد اعتنقت وحدة الوجود، وهي عقيدة كُفرية قال بها المتصوفةُ، وعلى رأسهم ابن عربيّ، الذي صَرَّح بهذه العقيدة بنصوصٍ مبثوثة في كتبه، منها قوله: "فالكل أسماء الله، أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته، فما في الوجود إلا الله، والأعيان معدومة في عين ما ظهر فيها"[10].

وقولُه: "فكلُّ ما نُدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمِن حيثُ هُوية الحق هو وجوده، ومِن حيث اختلافُ الصور فيه فهو أعيان الممكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل، كذلك لا يزول باختلاف الصور اسم العالم، أو اسم سوى الحق"[11].

فهذه النصوصُ وغيرها مفادها – بأوجز عبارة – أنَّ الله تعالى والعالم شيءٌ واحد[12]، فلا شيء إلا الله، وكلُّ ما في الوجود يمثِّل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عينُ وجود الله تعالى ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة [13].

اعتنقتْ جُل الطرُق الصوفيَّة في الديار العُثمانية عقيدة وَحْدة الوجود، خاصة وَحْدة الوجود عند محيي الدين بن عربي[14]، وبلغتْ هذه العقيدة مِن الانتشار إلى حد أن السبب في عزل شيخ الإسلام جيوي زاده محمد أفندي [15] أنه كان ضدّ هذه العقيدة، وقد كان أول شيخ للإسلام عند العُثمانيين المولى محمد الفناري[16]، يَدين بهذه العقيدة الباطلة[17]. كما اعتنق بعض أعلام الطرق الصوفية في الدولة العثمانية هذه العقيدة؛ فكان من أبرز معتقدات المولوية إيمانهم بعقيدة وحدة الوجود، يتضح ذلك جليًا من خلال كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي، الذي رسَّخ هذه العقيدة في قُلوب مُريديه ومَن اعتنق طريقته، وعلى ذلك سارتْ جموع المَوْلَوِيَّة، وأقوالُ جلال الدين في تقرير

---

[9] يذكر بعض الباحثين أن أول الطرق كانت طريقة تسمى بأبدال الروم، وهي نفسها الطريقة القلندرية، لكنها اتخذت هذا الاسم في وقت متأخر، لكن تعد الطريقة القلندرية الطريقة الأم باعتبار أن معظم الطرق التي أتتْ بعدها كانت متأثرة بتعاليمها ومعتقداتها. انظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (175/2).

[10] انظر: الفتوحات المكية (54/2) ابن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[11] الفتوحات المكية (53/2)

[12] انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (ص28) أحمد القصير، مكتبة الرشد.

[13] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (994/3) غالب العواجي، المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الرابعة 1422هـ.

[14] انظر: التصوف وآثاره في تركيا (ص246).

[15] محمد بن إلياس محيي الدين الحنفي الشهير بجيوي زاده: قرأ على علماء عصره وأوكلت إليه مهمة التدريس في مدارس عدَّة، ثم تولى القضاء بمصر، ثم أصبح مفتيًا بالقسطنطينية، ثم تقاعد عن الفتوى في سنة ثمان وأربعين وتسعمائة، والسبب في عزله: انحراف السلطان عليه بسبب إنكاره على محيي الدين ابن العربي، وغالب الأورام على اعتقاده فخالفهم في ذلك، توفي في سنة أربع وخمسين وتسعمائة. انظر: الكواكب السائرة (27/2)

[16] محمد بن علي بن يوسف ابن شمس الدين الفناري، قاضي القضاة العسكر بولاية الأناظولية، ثم في ولاية الرومية، ولد في أيام دولة السلطان محمد الفاتح، له حواشٍ على شرح المواقف، وشرح الفرائض كلاهما للسيد الشريف، وحواش على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة، توفي وهو قاضي العسكر الروملي في سنة تسع وعشرين وتسعمائة. انظر: الكواكب السائرة (59/1)

[17] انظر: المرجع السابق (ص246).

هذه العقيدة مبثوثةٌ في مؤلفاته، وهي أكثرُ مِن أن تُحصى، كما أنها كانتْ بين منظومٍ ومنثورٍ فعلى سبيل المثال ورد في كتاب المثنوي قوله: "إنَّ نبض العاشق ليقفز متزايدًا بلا أدب، فيضع نفسه في كفة واحدة مع المليك، فليس هناك مَن هو أقل أدبًا منه في العالم، لكن ليس في الحقيقة من هو أكثر منه تأدبًا"[18]. وأما الطريقة النقشبندية –التي لا تزال حاضرة في تركيا – فقد صرح بعض مشايخ الطريقة النَّقْشَبَنْدِية، ومَن ينتسب إليها، بإيمانهم بعقيدة وَحْدة الوجود، فمِن أقوال مشايخ الطريقة التي تدل على إيمانهم بهذه العقيدة الباطلة:

أ/ قول بهاء الدين النَّقْشَبَنْدِي حينما سُئل عن معنى قول الصوفيَّة: الصوفي غير مخلوق، فأجاب: بأن للصوفي بعض الأوقات حالًا لا يكون فيها هو. ومِن أقواله: "إن العبد بعد الفناء المُطْلَق الذي هو فناء الذات وفناء الصفات، يُخلع عليه الوجود الحقَّاني! حتى يتَّصف في ذلك الوجود بالأوصاف الإلهية، ويتخلق بالأخلاق الربانية"، وسُئل بهاء الدين عن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فقال: "أشار أنَّ المؤمن ينبغي أن ينفيَ وجوده الطبيعي، ويثبت مَعبوده الحقيقي في كلِّ طرفة عين"[19].

ب/ عبيد الله أحرار، وهو مِن رجال كبار الطريقة، قام بتأويل آي القرآن الكريم حتى تتوافقَ مع هذا المعتقد الفاسد؛ فقال عن قوله تعالى: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [سورة الفاتحة:2] قال: "كمالُ الحمد أن يحمدَه العبد، ويعرفَ أنه لا حامد إلا هو تعالى، وأنه هو عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل، وإنما يبتهج سرورًا بكونه تعالى جَعَلَهُ مظهرًا لصفاته"[20].

وقد ردَّ العلماء على أصحاب هذه العقيدة الباطلة وبَيَّنوا فساد معتقدهم في ضوء الكتاب والسنة، فمِن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيميَّة، الذي بَيَّن حقيقة هذا المعتَقَد وفساده في كثيرٍ مِن مُصنَّفاته رحمه الله.

ومما ذكره ابن تيميَّة في بيان حقيقة هذا المذهب قوله: "هؤلاء الملاحدةُ الذين يزعمون أنه – أي الله سبحانه وتعالى – عينُ وجود الكائنات أكفرُ مِن اليهود والنصارى من وجهينِ:

أ/ مِن جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتَّحد بعبده الذي قرَّبه واصطفاه بعد أن لم يكونَا متَّحِدَيْنِ، وهؤلاء يقولون: ما زال العبد هو الرب وغيره مِن المخلوقات ليس غيره!

ب/ أن أولئك خصّوا بذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك ساريًا في الكلاب والخنازير والقذَر والأوساخ.

وإذا كان الله تعالى قال: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ [سورة المائدة:17]، فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون، والصبيان، والمجانين، والأنتان، وكل شيء؟!

وإذا كان الله قد ردَّ قول اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة:18]، وقال لهم: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾[سورة المائدة:18]، فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب والخالق، ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه، وأن كل ناطق

---

[18] المثنوي (315/3) ترجمة: إبراهيم شتا، المجلس الأعلى للثقافة.

[19] انظر: البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية، محمد الخالدي (ص104).

[20] الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية، يس السنهوتي النقشبندي، مطبعة السعادة (ص161).

في الكون فهو عين السامع، وإن الناكح عين المنكوح"[21]، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وليس المقام هنا الرد على هذه العقيدة الفاسدة، فقد ضمن العلماء في بعض مؤلفاتهم الردَّ على أصحاب عقيدة وَحْدة الوجود، وفنَّدوا شُبههم، فضلًا عمَّن ألَّف مُصنَّفاتٍ خاصَّةً لبيان فساد مُعتقدهم، وإنما المراد هنا هو بيان أثَر هذه العقيدة في سقوط الخلافة العُثمانية، وذلك يتضح بالآتي:

- **ترك عمارة الأرض والسعي في خَرابِها:**

لَمَّا كان التصوُّفُ يُمثل انحرافًا عقَديًّا عن منهج القرآن والسنة، ومنهج السلف الصالح، فقد انحرف بعض مشايخ الطرُق – نتيجة لاعتقادهم بوَحْدة الوجود الباطلة – عمَّا دعا إليه القرآنُ والسنة مِن حثِّ المؤمنين على السعي في الأرض، وطلَب الكَسْب والعيش.

فالطريقةُ التي دعا إليها أئمةُ الطرُق الصوفيَّة تتضمَّن العُزوف عن الدنيا بالكلية، بل السعي في خرابها نتيجة لاعتقادهم أنَّ الأعمال الدنيوية عوائق كبيرة تَحول بين المريد وغايته، فحتى يصلَ المريد إلى غايته، ويُحقق هذه العقيدة، لا بد أن يُفرغ قلبه، ويجمع هَمَّه في مطلوبه؛ وذلك يتحقَّق حين يترك كل ما هو مِن أمور الدنيا، وفي هذا يقول السَّهْرَوَرْدِي[22]: "المريد (الطالب) إذا أراد أن يدخلَ الخلوة فأكْمَلُ الأمر في ذلك أن يتجرَّد من الدنيا، ويُخرج كل ما يملكه"[23].

وقال أبو سليمان الداراني[24] في تأكيدٍ منه على منهج التصوُّف، ونظرتهم للعمل، وسَعْي الإنسان للكَسْب: "إذا طلب الرجلُ الحديث، أو سافَرَ في طلب المعاش، أو تزوَّج، فقد ركن إلى الدنيا"[25].

وهو مما يُبين أن الصوفيَّة فضَّلوا البطالة على العمل؛ بزَعْم أنَّ العاطلَ عن العمل مُشتَغِل بالله، مُفرغ قلبه لما يرد عليه مِن الإشراقات والتجليات، وبهذا صَدَق فيهم قولُ الشافعي رحمه الله: "أسِّس التصوُّف على الكسل"

---

[21] مجموع الفتاوى (172/2) ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

[22] شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، ينسب إلى بلدته سُهْرَوَرْد– وقد تسمى سَهْرَوَرْد أيضًا– وهي بلدة كردية. كان بارعا في أصول الفقه، مفرط الذكاء، فصيحا، لم يناظر أحدا إلا أربى عليه. قال ابن خلكان وكان يتهم بالانحلال والتعطيل، ويعتقد مذهب الأوائل اشتهر ذلك عنه، وأفتى علماء حلب بقتله، له مؤلفات عدة، منها: له كتاب "التلويحات اللوحية والعرشية"، وكتاب "المعارج والمطارحات"، وكتاب "حكمة الإشراق". قتل في أوائل سنة سبع ثمانين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (23/ 347)

[23] عقيدة الصوفية ووحدة الوجود الخفية (ص533).

[24] عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: عبد الرحمن بن عطية، وقيل: ابن عسكر العنسي الداراني، ولد في حدود الأربعين ومائة، توفي أبو سليمان سنة خمس عشرة ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (183/10)

[25] الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص100)

[26]"، وفي هذا يقول ذو النون[27]: "إذا طلَب العارف المعاش فهو لا شيء"[28].

وفي المقابل أجاز مشايخُ الصوفيَّة لأتْباعِهم أن يسألوا الناس، ويمضوا أعمارهم، تاركينَ السعي لِلُقمة العيش، مُعتمدين على حسنات الناس لهم.

كان وجودُ المُتصَوِّفة على هيئة جماعات تحت إدارة شيوخهم، في معابدَ أطلقوا عليها اسم الزوايا، طاعمين كاسين على نفقة المحسنين مِن الأثرياء والأمراء أو السلاطين، مُتجرِّدين لعبادة الله، مُنقطعين لذِكْرِه، زاهدين في طلَب الدنيا، مُهملين السعي في طلَب القوت، محتقرين العمل على اكتساب العلم والدين، وذلك أكبرُ ما يُميِّز التصوُّف في العصر العثماني[29].

وكان تَرْك الصوفيَّة للعمل والسعي لطلَب الرزق، وعمارة الأرض، له أثرٌ سلبي في الدولة العُثمانية من ناحيتين:

الناحية الأولى: تسببهم في إضعاف اقتصاد الدولة:

إن المنهج الذي اتَّبَعَهُ المُتصَوِّفة، والذي يقوم على الكفِّ عن طلَب الرزق والاعتزال في الزوايا، قد أَجْبَر الدولة العُثمانية على تقديم المبالغ الطائلة لمشايخ الطرق، وكذلك المنح والعطايا الوفيرة، حتى أدَّى ذلك في بعض الطرُق إلى صعوبة إدارة أوقافها، وجعلتْ منها دولةً داخل دولة[30]، إضافة إلى إعفاء مشايخ الطرُق مِن الضرائب، كما حدث للشيخ السادات حين أراد تعمير زاوية أسلافه كلَّم الوالي في ذلك، فكتب إلى الدولة، وسرعان ما جاء الرد بإعطائه خمسين كيسًا من خزينة مصر، ثم أُعطي خمسين أخرى، بل تمَّ أيضًا رفع ما على القرى التابعة للشيخ السادات من ضرائب[31].

وأما معطيات الدولة للتكايا وأصحابها والتي تُبين حجم الميزانية الكبيرة التي تصرفها الدولة على تكايا المُتصَوِّفة، فالنماذج الموجودة أكثرُ مِن أن تُحصى، ولم يكتفِ السلاطين والأمراء بصرف المال للتكايا، بل أيضًا كانتْ تُصرَف لمشايخ الصوفيَّة والمريدين الأطعمة المختلفة؛ فقد جاء في إحدى الوثائق الموجودة في أرشيف قصر طوب قابي، ترتيب العائدات على التكية على النحو الآتي:

*راتب التقاعد (200) قرش للشيخ.

*(324) قرشًا لقرابة (18) شيخًا من مسؤولي التكية.

* (400) قرش للأطعمة.

---

[26] تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص320). دار القلم، الطبعة الأولى 1403هـ

[27] شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض. ولد في أواخر أيام المنصور، كان عالمًا فصيحًا حكيمًا، قال السلمي في "محن الصوفية: "ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن الحكم، وهجره علماء مصر، وشاع أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف، وهجروه حتى رموه بالزندقة. توفي سنة خمس وأربعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (533/11)

[28] اللمع (ص261) لأبي نصر الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة بمصر

[29] انظر: التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص37).

[30] التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص37).

[31] تاريخ عجائب الآثار، عبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل (423/3).

*(76) قرشًا قيمة سكن.

وإذا كان إجمالي الرواتب سنويًّا هو ألف قرش للتكية، فيبدو أن هذه النسبة قد تضاعفتْ حتى أصبح دخل التكية (12,000) قرش[32].

وقد ذكر الأستاذ عصام خليفة الأوقاف المخصصة للزوايا الصوفيَّة في ولاية لبنان العُثمانية على النحو الآتي:

- وقف زاوية قول حسن (طرابلس): 300 آقجة.
- وقف زاوية كنجبك (طرابلس): 425 آقجة.
- وقف زاوية كوتلو: 210 آقجة.
- وقف زاوية بركة الدوابة (طرابلس): 116 آقجة.
- وقف زاوية حبلص: 375 آقجة.
- المبلغ الإجمالي لأوقاف الزوايا: 2470 آقجة[33].

وإذا كانتْ هذه المعطيات من الدولة للتكية في سنوات الدولة العصيبة، فكم قد بلغت معطياتها في سنوات الرخاء والبذل؟!

ولم تكنْ نفقة الدولة تقتصر على الأحياء، بل شملت النفقةُ والعطاء الأموات أيضًا، فصُرِفتْ أموال الدولة في أمورٍ لا تعود بالنفع عليها، وضعُف اقتصادها في سبيل الاعتقادات الباطلة التي رسَّخها المُتصَوِّفة.

ذكر الجَبَرْتي –رحمه الله– في تاريخه عن ملوك زمانه وحاجتهم إلى الأموال؛ لدَفْع الفرنج عن بلادهم، ومع ذلك كان السلاطين العثمانيون يُرسلون النفائس والمجوهرات إلى الحجرة النبوية في تأييدٍ منهم لمعتقد الصوفيَّة الباطل والغالي في حق الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ثم هم بعد ذلك يُكلفون رعاياهم بدَفْع الأموال إليهم، ممَّا نتج عنه فقرُ الرعيَّة، وتردِّي أحوالهم، فيقول –رحمه الله–:

"قد رأينا شدةَ احتياج ملوك زماننا، واضطرارهم في مُصالحات المتغلبين عليهم مِن قرانات الإفرنج، وخُلُو خزائنهم مِن الأموال التي أفنَوْها بسوء تدبيرهم وتفاخُرهم ورفاهيتهم، فيُصالحون المتغلِّبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق مِن الإفرنج المسالمين لهم، واحتالوا على تحصيل المال مِن رعاياهم بزيادة المُكُوس والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الأموال بغير حق، حتَّى أفقروا تُجَّارهم ورعاياهم، ولم يأخذوا مِن هذه المدَّخرات شيئًا، بل ربما كان عندهم أو عند خوندتهم جوهر نفيس من بقايا المدَّخرات، فيرسلونه هدية إلى الحجرة، ولا ينتفعون به في مهماتهم، فضلًا عن إعطائه لمستحقِّه مِن المحتاجين، وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحدٌ إلا ما يختلسه العبيدُ الخصيون الذين يقال لهم: آغاوات الحرم والفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعًا، وهذه الذخائر محجور عليها وممنوعة منها"[34].

بينما كان مِن الواجب أن تُصرفَ هذه الأموال فيما يزَيد مِن رفعة الأمة وعُلُوِّ شأنها بين الأمم، فتصرف

---

[32] انظر: التصوف وآثاره في تركيا (ص403).

[33] انظر: أبحاث في تاريخ لبنان، عصام خليفة (ص12) دار نوفل، الطبعة الأولى 2010

[34] تاريخ عجائب الآثار، (7/ 48).

في أمور التعليم، وبناء المساجد ودور التحفيظ، وتُصرف لتوظيف الشباب الذين هم مستقبل كل أمة وروحها النابض لتُوظف طاقاتهم ومواهبهم فيما يَنفع أمتهم، صرفتْ أموال خزينة الدولة في أمور لا تنفع الأمة في الدنيا والدين.

وعلى سبيل الاستجابة والإيمان بمُعتَقدات الصوفيَّة الباطلة؛ كالغلوِّ في الأنبياء والصالحين، والتبرُّك بهم، واعتقاد شفاعتهم في حال موته، "ذكر النَّبْهاني أنَّ الدولة العُثمانية قد أعفتْ أهالي البصرة من الرسوم والتكاليف؛ احترامًا لصاحب الحضرة الشريفة؛ أي: الزُّبير بن العوام –رضي الله عنه–، وأن العُثمانيين بنَوْا على ضريحِه مسجدًا، وقامتْ والدة السلطان عبد العزيز بترميم القِبَب، وتكبير المسجد، وفي سنة 1293هـ ورد أمرٌ مِن السلطان عبد الحميد الثاني بتعمير هذه المراقد الشريفة على نظارة والي البصرة – وهو ناصر باشا سعدون[35] – كما أمر بكسوتين للضريحين – ضريح الزبير وعتبة بن غزوان – من الحرير الأحمر المطَرَّز بالفضة، وأمَر بوضع المباخر وقماقم مِن الفضة عند الضريحين"[36].

"وفي حُكم السلطان أحمد الأول، قام بإرسال شبابيك مِن الفضة المطْليَّة بالذهب للحجرة الشريفة، وفصٍّ مِن ألماس، قيمتُه ثمانون ألف دينار، على أن يتم إرسال الشبابيك القديمة له ليجعلَها في مدفنه الذي أنشأه في القُسْطَنْطِينيَّة لأجل التبرك"[37].

وحين صرفت الدولة كلَّ هذه المصروفات والمبالغ الطائلة، سبَّب لها ضررًا كبيرًا، وتدهورتْ أوضاعها الاقتصادية، وقلَّ إنتاجها، وواجهت الدولةُ العُثمانية مشاكلَ اقتصادية متعددة، كان أكثرُها تأثيرًا في الدولة مشكلة الديون، فقد "بلغت الديونُ العُثمانية قريبًا من مائتي مليون إسترليني في عام 1292هـ/ 1875م، والأقساط السنوية لأصل الديون والزيادة الربوية عليها أحد عشر مليون إسترليني"! واتسعتْ فجوة العجز في الميزانية مع بداية القرن العشرين، وزادت المتطلباتُ العسكرية في سعة هذا العجز، حتى صار تسديدُ أصول القروض وزياداتها الربوية مَرهونًا بالحصول على قروضٍ جديدةٍ بعد سنة 1328هـ/ 1910م"[38]، وما إنْ أشرفتِ الحرب العالمية الأولى على الظهور عام1333هـ/ 1914م حتى وصلتْ ديون الدولة العُثمانية إلى 3900 مليون فرنك، كان أغلبُها من فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا [39].

وقد عبَّر المؤرخ التركي يلماز عن الأزمة الاقتصادية التي مرَّتْ بها الدولةُ، فقال: "لم تخرج الدولة العُثمانية من الحرب العامة بجيوشٍ مَغلوبة، وأقطار مُحتلة وامبراطورية متداعية فحسبُ، بل إنها كانتْ قد دُمِّرَت اقتصاديًّا كذلك"[40]، كما أن مشكلة الديون قد فتحت بابًا للدول الأوربية تستطيع مِن خلاله القضاء على الدولة العُثمانية.

إنَّ نظرة التصوُّف المُنحرِفة إلى الدنيا، واعتقادهم أن التفرُّغ التام للذكر والعبادة أكملُ للوصول إلى غايتهم

---

[35] سعدون ابن منصور بن راشد ابن صالح بن ثامر السعدون، أبو عجمي، ولد في سنة 1274هـ، شجاع ثائر، من أسرة عراقية كبيرة، كانت أميل إلى البداوة، أول ما عرف عنه توسطه بين الحكومة العثمانية وعشيرة من عشائر العراق لإعادتهم إلى الطاعة فأطاعوا، توفي سنة 1338هـ. انظر: الاعلام (3/ 89)

[36] انظر: الانحرافات العلمية والعملية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (ص169).

[37] انظر: المرجع السابق (ص174)

[38] الدولة العثمانية المجهولة (ص751).

[39] الانحرافات العقدية والعملية (ص452).

[40] تاريخ الدولة العثمانية (590/2).

أدتْ إلى "احترام البطالة، وإباحة التسول، وتحقير ما تنطوي عليه الحياةُ مِن لذَّات، وإغراء الناس بتكلف الحزن واصطناع الضيق، والسعي إلى مواطن الذل والاغتباط بالهوان، والاطمئنان للمستقبل الغامض والقناعة بالتافه مِن شؤون العيش، والاستهانة بالمادة والاستهتار بالمال والاكتفاء برحمة السماء، ولقد هان في نظرهم السعي في الدنيا لاكتساب المال والكد في ميادين العمل مِن أجل العيش، وأباحوا التسوُّل قائلين: إن الشَّحَّاذين الذين يَطُوفون بالأبواب يحملون عن المحسنين ذنوبهم، فإنَّ هدية الله للمؤمن وقوف السائل على بابه"، وقد تسبب اعتقاد المُتصَوِّفة المُنحَرِف للدولة بالضعف الاقتصادي كما تَبَيَّن، وهذا الضعفُ قد جرَّها إلى مشاكلَ كبرى، ومِن ثَم تسبب في سُقوطها.

الناحية الثانية: تسبُّبهم في تأخُّر الدولة عن ركب الأمم المتقدّمة:

يرى بعضُ مُؤرخي الدولة العُثمانية أنَّ السبب الرئيس لتردّي الدولة وضعفها كان نتيجة الحروب التي خاضَتْها في الفترة الأخيرة من تاريخها، فيقول مثلًا المؤرخ خليل إينالجك: "إنَّ السبب الرئيس للاضطراب والفوضى اللذين خلخلَا حياة الدولة العُثمانية في تلك الفترة – أي: فترة الضعف – إنما يَكْمُن في العِبْء الكبير الذي أُلقي عليها نتيجة الحروب مع إيران والنمسا" [41].

ولا ريبَ أن الحروب في أي دولةٍ كفيلة بتردّيها وتأخرها، لكن الحروب ليست وحدَها العامل المهم الذي قد يتسبَّب بضعف الدولة وسُقوطها.

إنَّ وجود ضَعْفٍ في الجانب العلمي في أي دولة كفيلٌ بتأخُّرها وتخلُّفها، ثم ذوبانها في الأمم الأخرى – وهو أمر خطيرٌ تخشاه كل أمة – وهو العاملُ الأهم لسقوط الأمم حتى الأمم التي لم تكن الحروبُ فيها بنسبةٍ كبيرة.

ويتضح هذا الأمرُ في الدولة العُثمانية خصوصًا على النحو الآتي:

- أنَّ الدولة العُثمانية بطبيعتها كما يُعرِّفها المؤرخون هي دولة عسكرية، فقد بدأت إمارة ثغر، ثم تحولتْ إلى سلطنة، ثم إلى خلافة وسلطنة، لقد بدأ التاريخ العثماني في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، وكانتْ تَسُود العالم كله وقتئذٍ رهبةٌ وذُعرٌ من الإمبراطورية المَغُوليَّة التي أقامها جنكيز خان، وقد استطاعت إمارة آل عثمان التغلُّب على الإمبراطورية المغولية، كما تغلبتْ على الدولة البيزنطية[42]، وخلال مسيرة سلاطين الدولة واجهوا كثيرًا مِن الأعداء للدولة والدين واستطاعوا التّغلُّب عليهم، وإن بدأ الضعف يسيرًا للمؤسسة العسكرية في الدولة في مراحلها الأخيرة، لكن ليس ضعفًا يُجعل منه السبب الرئيس لسُقوط الدولة، فالدولةُ بطبيعتها عسكرية ولها تجاربُ سابقة بخوض غمار الحروب والجهاد، بل إن الأسباب تعدَّدت وكان منها الضعفُ الذي دبَّ في مؤسسات الدولة العسكرية في مراحلها الأخيرة.
- أنَّ الدولة مرَّتْ بمرحلة غلب عليها الجمودُ في كثير من أنشطة الحياة؛ فالضعفُ العلميُّ قد فشا في الدولة، فالمناهج الدينية أصابها الجمودُ والتقليد، والمناهج الدنيوية أُهملتْ تمامًا، بل حُوربت في كثير من الأحيان، واتهم بالتكفير مَن يدعو إليها أو يحاول تعلُّمها أو تعليمها، فكان هذا إيذانًا بحجر العقول وتكبيلها، ومدعاةً إلى السُّبات والاسترخاء والخمول [43].

---

[41] تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار (ص74).

[42] انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، محمد حرب (ص301). المركز المصري للدراسات العثمانية.

[43] انظر: الانحرافات العلمية والعملية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري (ص461).

لقد أَدْرَكَ بعضُ السلاطين الضعف الذي بدَتْ بعضُ مَظاهره تظهر في الدولة، وأرادوا تدارُك الأمر، كان أول ما أرادوا تغييره المؤسسة العسكرية، لكن لغلبة الضعف العلمي بالمسلمين آنذاك لم يجد السلاطين حلًّا سوى اقتباس النموذج الغربي؛ إذ في مقابل الضعف العلمي والجمود الفكري الذي كانتْ تعيشه الدولة العُثمانية آنذاك كانت الحضارةُ الغربية فائضةً بالروح الجديدة، والطاقات الجديدة، وممتلئةً بالحماس الجديد، وقد حملت الحضارة الغربية ثورةً صناعيةً وعلميةً وفكريةً تتَّسع نطاقاتها يومًا بعد يومٍ، وقد أدَّى هذا القرار الذي اتخذه بعض السلاطين – أي: الاتجاه للغرب – إلى انقسام الشعب على فئتينِ: فئة الطائفة القديمة، التي كانتْ مُؤلفة مِن العلماء القدماء والمُتصَوِّفة، الذين لا يعرفون المُقتضيات الجديدة والتطورات الحديثة، ولم يُدركوا خطورة الموقف وضخامة الخطر الذي نشأ لتركيا بتأثُّر القوة الناهضة في أوربا.

والفئة الثانية: الجيل الجديد، الذي قد تلقَّى ثقافته في عواصم أوربا، ونشأ على الاستهانة بقيمة الدين، واليأس مِن مستقبله، وكراهة رجاله واحتقارهم؛ نتيجة ما رسَّخه المُتصَوِّفة من نظرتهم للحياة والعلم كما سيتبين، ثم كانت النتيجة ثورة الجيل الجديد – الذي أخذه حماسُه للغرب، ولم يستطع التفريق بين ما يصلح وما لا يصلح للاقتباس – على كل قديم، وعلى كل موجود، وإلى التصميم على "تغريب" الدولة العُثمانية [44].

فيتبين بذلك أنَّ الضعف العلمي كان السبب الرئيس لذوبان الدولة العُثمانية في الأمم الأخرى، وفقدانها لهُوِيَّتها الإسلامية، ثم نتيجة لهذا الضعف اقتبس النظامُ العسكريُّ مِن الغرب، وتَلَتْهُ الأمور الشكلية التي هي أصلًا مِن خصائص الحضارة الغربية، ولا تتوافق مع دولة إسلامية كالدولة العُثمانية.

ويتبيَّن دور المُتصَوِّفة في تأخر الدولة العُثمانية علميًّا فيما يأتي:

- **ازدراء العلم الشرعي الذي هو الأصل:**

ابْتَدَع المُتصَوِّفة للدخول إلى الطريقة الصوفيَّة والبلوغ فيها إلى أعلى المراتب – طريقًا مخالفًا لمنهج العقيدة الإسلامية؛ إذ سلكوا طُرُقًا أخرى لتلقِّي العلوم، منها:

أ/ الاعتماد على الذَّوق:

"يعتمد الصوفيَّة على الذَّوْق، ويسمونه بعِلْم الخرق، ويُقدمونه على الشريعة إذا تعارَض معها، أو يؤولون الشريعة على مُقتضاه، والذوق لا ضابط له ولا حَدّ، فهو يتغير بتغيُّر الأخلاق والعوامل النفسية والأعراف ومقامات الشيوخ؛ ولذلك فأذواقُ الصوفيَّة بعدد أنفاس أصحابها" [45]. إن مسألة اختلاف الذوق وتعدده، تظهر هذا جلياً بقول عبد الغني النابلسي بأنه لا يلزم أن يفهم كلام أهل الطريقة أحد غيرهم حيث قال: "فإن قلت لم نفهم نحن من كلامك هذا شيئاً قلت نعم الأمر كذلك...ولكن نحن لم نتكلم لغير أهل طريقنا فإن الأمور الذوقية الوجدانية كلذة المأكل والمشرب ولذة النكاح لا تدرك بغير الذوق والوجدان، وليس في العبارات كلها ولا في الإشارات مما يؤدي معناها لمن لم يذقها في عمره"[46].

وينشأ عن هذه الأذواق آفاتٌ ومفاسدُ عدَّة؛ إذ إنَّ "الذوق: حكم اللذة، والحكم على الشيء بما يدرك مِن لذة

---

[44] انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي (ص40) دار القلم، الطبعة الرابعة 1403هـ.

[45] موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص55) علي السيد الوصيفى، دار الإيمان

([46]) الظل الممدود شرح رسالة وحدة الوجود، عبد الغني النابلسي، مخطوطة ق48 أ، ب.

لا يدلُّ على صحة هذا الشيء، فقد يكون خطأ وقد يكون صوابًا"، فضلًا عن أنها من الابتداع في الدين، فالشريعةُ إنما نزلتْ لتحكيم القرآن والسنة، ويُؤخذ العلم منهما وحدهما، ولا ينبغي للمسلم أن يعتمدَ في القبول أو الرد على العقل أو الذوق؛ فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[سورة الحجرات:1][47].

قال الإمامُ الذهَبي: "إذا رأيتَ المتكلم المبتدع يقول: دعنا مِن الكتاب والأحاديث، وهات العقل، فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا مِن النقل والعقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حلَّ فيه، فإن جبنتَ منه فاهربْ، وإلا فاصرعه وابركْ على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه" [48].

ب/ المُكاشَفة:

ابْتَدَع المُتصَوِّفة طريقَ الكشف لتلقِّي مصادر المعرفة، فيزعمون أنهم عن طريق الكشف يعلمون الغيب وما يَدور في الصدور، وهم بواسطته يَتَلَقَّون تعاليمهم.

وقد تعددتْ تعريفاتُ الكشف لدى المُتصَوِّفة – مع اتفاقهم على المعنى – فمما جاء في معنى الكشف:

1/ أنَّ الكشف هو: "الاطلاع على ما وراء الحجاب مِن المعاني الغيبيَّة، والأمور الحقيقة، وجودًا وشُهودًا"[49].

2/ وقال السَّرَّاج: "الكشف: بيان ما يستتر على الفَهم، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين"[50].

3/ وقال الغزالي: "ونعني بعلم المُكاشَفة: أن يرتفع الغطاء، حتى يتضح له جليَّةً الحقُّ في هذه الأمور، اتضاحًا يجري مجرى العيان الذي لا يُشك فيه".

يتبيَّن من ذلك أنه بالكشف يطَّلع الصوفيُّ على أمور الغيب، ويُدرك الحقائق، وتتضح له مجريات الأمور، ومقادير الخلائق، وما يجري في المستقبل، فهو "يعني رفع الحُجُب أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم ما في السماوات جميعًا، وما في الأرض جميعًا، فلا تسقط ورقة إلا بنظره، ولا تقع قطرة ماء من السماء إلا بعلمه"[51]!

يقول البرسوي: "وما روي عن الأنبياء والأولياء من الأخبار عن الغيوب فبتعليم الله تعالى، إما بطريق الوحي، أو بطريق الإلهام والكشف فلا ينافي ذلك الاختصاص علم الغيب مما لا يطلع عليه الأنبياء والأولياء والملائكة"[52].

وللكشف مراتبُ ودرجات، يتنقل بينها الصوفيُّ حتى يصل إلى أعلى مراتب الكشف الذي يتحصَّل له به معرفة الغيب، والاطلاع على أسرار ملكوت الله كما يزعمون.

---

[47] انظر: موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص49).

[48] سير أعلام النبلاء (472/4)

[49] معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحنفي (ص225) دار المسيرة، الطبعة الثانية 1407هـ

[50] المصادر العامة للتلقِّي عند الصوفية عرض ونقد، صادق سليم(ص207) مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1415هـ.

[51] الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص235).

[52] روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي البرسوي. (203/10).

"ويعدُّ المُتصَوِّفة الكشف كرامة من كراماتهم، وإن مَن لم يحصل له ذلك الكشف فهو شخصٌ ناقصٌ"[53].

ويترتَّب على هذا الأمر الباطل أمور عدَّة تعدُّ مفسدةً عظيمةً وخروجًا عن دين الإسلام منها:

1/ اعتقاد المُتصَوِّفة أن للقرآن معاني غير التي يعرفها أصحابُ النبي ﷺ وعلماء الأمة على مر العصور[54].

2/ ادَّعى بعض المُتصَوِّفة قدرتهم على رؤية عذاب القبر ونعيمه؛ قال بعضُهم: "الاطلاع على المعذبين والمنعمين في قبورهم واقعٌ لكثير من الرجال، وهو هَوْل عظيم، يموت صاحبه في اليوم والليلة موتات! ويستغيث ويسأل الله أن يحجبه عنه، وفي هذا المقام لا يحصل للعبد إلا بعد غلبة روحانيته على جسمانيته، حتى يكون كالرُّوحانيين" [55].

جـ/ الإلهام أو " العلم اللَّدُنِّي":

يُعدُّ الإلهام أيضًا مِن مصادر التلقِّي عند الصوفيَّة؛ فهذا شيخ النقشبندية عبد الغني النابلسي يرى أن المعرفة مستفادة من العلم اللدني الوهبي[56].

وعن معنى الإلهام قال الشريف الجُرْجاني [57]: "هو ما يُلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب مِن علم، وهو يدعو إلى العمل مِن غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة"[58]، ويُقدم الصوفيَّة الإلهام على القرآن والسنة بدعوى أن القرآن والسنة أُخذتْ بواسطة في حين أنَّ الإلهام أُخِذَ بلا واسطة.

والإلهامُ إما أن يكونَ مِنْ قِبَل الله تعالى، وإمَّا مِن قِبَل ملائكته، يُفهَم منه أمرٌ، أو نهيٌ، أو ترغيبٌ، أو ترهيب، وقد سمى الصوفيَّة العلم الناتج من الإلهام علمًا لدُنِيًّا حاصلًا بمحض فضل الله وكرمه بغير واسطة [59].

وقد زعموا أن العلم اللَّدُنِي كرامة من كرامات الصوفيَّة، فلا يصل إليها السالكُ إلا بالمجاهدة والمصابرة والمرابطة"[60].

وليس القصدُ هنا تتبُّع مصادر التلقِّي عند الصوفيَّة، وإنما مجرد التمثيل عليها حتى يتبين المقصود.

فلأجل هذه الطرُق التي اتبعوها رأى المُتصَوِّفة عدم الحاجة إلى العلوم الشرعية، واحتقرت الصوفيَّة علم الكتاب والسنة، بل طعنوا أيضًا في علماء الأمة لاعتقادهم أنَّ هذا الطلب لا يوصل إلى المطلوب.

قال أبو يزيد البَسْطامي في كلمةٍ وجَّهها إلى طلبة العلم والحديث: "أخذْتُم عِلمَكُمْ ميتًا عن ميتٍ، وأخذنا علمنا عن الحيِّ الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدَّثَني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا:

---

[53] مصادر التلقي عن الصوفية (ص78) هارون صديقي، دار الراية، الطبعة الأولى 1417هـ

[54] انظر: الفكر الصوفي (ص236).

[55] المرجع السابق (ص79).

[56] انظر: خمرة الحان ورنة الالحان في شرح رسالة الشيخ أرسلان، عبد الغني النابلسي. (ص85)

[57] علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، ولد سنة 740هـ في مدينة شيراز، له مؤلفات عدَّة، منها: التعريفات، مواقف الإيجي، مقاليد العلوم، توفي سنة 816هـ. انظر: الأعلام (7/5).

[58] معجم التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة (ص32).

[59] انظر: حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى (ص359) دار العرفان، الطبعة السادسة عشر 1428هـ.

[60] انظر: مصادر التلقي عند الصوفية (ص84).

مات، عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات"[61].

بل عَدَّ المُتصَوِّفة طلبَ العلم مِن سوء الأدب والانحطاط! فحين سُئل القُشَيْري عن سوء أدب الفقير – أي الصوفي – قال: "انحطاطه مِن الحقيقة إلى العلم"[62].

وقال أبو الحسن الشاذلي [63]: "العلوم التي وقع الثناء على أهلها وإنْ جلَّتْ، فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق"[64].

فيتَّضح مما سبق ازدراء المُتصَوِّفة للعلم وأهله، في مقابل تأكيدهم على أهمية طريقتهم ومَسْلَكهم في تلقِّي العلم، فاحتقر المُتصَوِّفة العلم وأهله، وقبَّحوا طريقة العلماء في فَهْم الكتاب والسنة، وكان الانصرافُ عن العلم والتعلم، والعكوف على التصوُّف سمة مِن سمات تلك الفترة، فشهد العصر العثماني كثيرًا ممن كان متصدرًا للفتيا أو الوعظ، ثم غلب عليهم التصوُّف، واعتزلوا الناس واشتغلوا بالعبادة والذِّكْر[65]؛ منهم الشيخ عبد الحميد الألوسي، الذي كان مِن الوُعَّاظ الذين أقبل الناسُ على مجالسهم وسماع وَعْظهم، ثم غلب عليه التصوُّف، وصار له أتباعٌ ومريدون، وأقام على العُزلة في داره أربعين سنة لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة والعيدين[66]!

ومنهم أيضًا جلال الدين الرومي، الذي يقول بعدَ مصاحبته لشمس الدين التِّبْريزي: "تركتُ التدريس في المدارس، والوعظ في المنابر، وتخلَّيتُ عن المناصب الكبرى، وبدأتُ أشتغل بقراءة الأسرار المكتوبة على صحائف الروح، انشغلتُ بالكتب والدفاتر، وكنتُ في مقامٍ أعلى مِن مقام الأدباء، ولكني عندما رأيتُ لوح الساقي غِبتُ عن وَعْيِي، وكسرتُ الأقلام التي في يدي وألقيتُ بها"[67].

وكثيرًا ما يَرِد في تراجم الصوفيَّة أوصاف تدل على زُهدهم وانقطاعهم عن الدنيا والناس؛ فيَذْكُر محمد الحسني عن أحد المُتصَوِّفة وهو أبو زيد عبد الرحمن فيقول عنه: "كان ورعًا زاهدًا عالمًا، غلب عليه التبتُّل والانقطاع... استوحش مِن الخلق حتى لا يراه قريب ولا بعيد وبيته مغلق عليه أبدًا"[68]، فكان منهج المُتصَوِّفة قائمًا على نَبْذ العلم الشرعي، وتفضيل الانقطاع والعزلة على تعلُّم العلم الشرعي الصحيح.

ولم يكنْ نفور المُتصَوِّفة من العلم يتخذ حالات فردية ويكتفي بذلك، بل إنَّ علماء الصوفيَّة ومشايخها قد حرَصوا على صَدِّ الناس عن تعلُّم العلوم الشرعية؛ فعن أبي سعيد الكِنْدي قال: "كنتُ أنزل رباط الصوفيَّة، وأطلب

---

[61] الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص99).

[62] التصوف وآثاره في تركيا (ص365).

[63] داود بن عمر بن ما خلا الإسكندري، شيخ الشاذلية في وقته، كان لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فله كلام معتمد عند الصوفية، ويعدونه من كبارهم، له عدة مؤلفات منها: "عيون الحقائق"، "شرح حزب البر للشاذلي". توفي سنة 733هـ. انظر: الطبقات الكبرى (8/1)

[64] التصوف في تركيا (ص366).

[65] انظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (ص470).

[66] الأعلام (288/3).

[67] التصوف وآثاره في تركيا (ص367).

[68] انظر: دوحة الناشر في محاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر(ص28) محمد عسكر الحسني، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب.

الحديث في خفية بحيث لا يعلمون، فسقطت الدواة يومًا من كمي، فقال لي بعض الصوفيَّة: استرْ عورتك"[69].

ويقول جعفر الخلدي[70]: "لو تركتني الصوفيَّة لجئتكم بإسناد الدنيا، لقد مضيتُ إلى عباس الدوري وأنا حدث فكتبتُ عنه مجلسًا واحدًا، وخرجتُ من عنده فلقيني بعضُ مَن كنتُ أصحب من الصوفيَّة، فقال: أَيشٍ هذا معك؟ فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخَرْق وتأخُذ علم الورق، ثم خرق الورق فدخل كلامه في قلبي، فلم أعُدْ إلى عباس"[71].

ومِن خلال الموقف الذي وقفتْهُ الصوفيَّة من العلم الشرعي وأهله، تكون الصوفيَّة قد أسهمت في انحدار الحالة العلمية وتردّيها في العصر العثماني، فنظرًا لدعوتهم إلى نَبْذ العلم الشرعي واحتقار أهله، فقد غلب على العلوم الدينية الجمود والرتابة، وأصبحتْ إلى حد كبيرٍ لا تتلاءم مع تغير الزمان، وقلَّ إقبال الناس على العلم، فتَفَشَّى الجهل في الأمة نتيجة لذلك، وأصبحتْ غير قادرة على مواكبة التطور والنهضة التي حظيتْ بها أوربا في ذلك الوقت.

- **ضعف العناية بالعلوم الأخرى:**

تفشَّى في العصر العثماني – خاصة العصور التي ضعفت فيها الدولة– ظاهرةُ الضعف العلمي والثقافي، وانتشر الجهلُ والأُمِّيَّةُ في الأمة العُثمانية، فقد تساوتْ في نظر المُتصَوِّفة شتى العلوم المعروفة في عهدهم – مِن دينية ولسانية وعقلية وغربية – فعَدُّوا الاشتغال بها انصرافًا عن أقدس واجبٍ يقف عليه الإنسان في حياته وهو: العبادة والذكر والتهجد، فهاجموها علمًا علمًا[72].

يقول الأمير شكيب أرسلان[73] رحمه الله – وهو مِن أدباء العصر العثماني – في حديثه عن هذا العهد: "وكان شر ما أصيبوا به – أي: العثمانيون – الجمود في العلم والجمود في صناعة الحرب وتنظيم الجيوش، وقد نسوا قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال:60]، وقول النبي ﷺ: (الحكمة ضالَّة المؤمن؛ حيث وَجَدَها فهو أحقُّ بها)[74]، وكان خليقًا بهم – لحرج مركزهم السياسي

---

[69] تلبيس إبليس (ص318)

[70] أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم، البغدادي، شيخ الصوفية في أيامه ببغداد، وأعلمهم بالحديث. كان خواصاً –يبيع الخوص، وهو ورق النخل–نسبته إلى –قصر الخلد–ببغداد ولم يكن منه وإنما دعاه (الجنيد) بالخلدي. له سالة منسوبة إليه، في محنة الإمام الشافعي، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (20/ 559) الأعلام (2/ 128).

[71] التصوف في مصر إبان العصر العثماني(ص318).

[72] التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص208).

[73] شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان: من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، عالم بالأدب، والسياسة، مؤرخ، ينعت بأمير البيان، ولد في سنة 1286هـ، عين مديراً للشويفات في لبنان، ثم قائم مقام، ثم انتخب نائباً عن حوران في مجلس "المبعوثان" العثماني، عالج السياسة الإسلامية قبيل انهيار الدولة العثمانية، من تصانيفه: "الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية"، "لماذا تأخر المسلمون"، " حاضر العالم الإسلامي". توفي سنة 1366هـ. انظر: الأعلام (2/ 173).

[74] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة. حديث رقم (26687) قال الألباني: حديث ضعيف جداً، انظر: سنن الترمذي (ص604) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف

والجغرافي، وقد أحاطتْ بهم الدولُ الأوربية إحاطة السور بالمعصم – أن يجعلوا وصية القائد الإسلامي الكبير عمرو بن العاص رضي الله عنه للمسلمين في مصر نُصب أعينهم: (واعلموا أنكم في رباطٍ إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم)، ولكن التُّرك وقفوا وتقدَّم الزمان، وتخلَّفوا وسبقت الأمم الأوربية"[75].

والشرُّ هنا يَكْمُن في أن ضعفهم العلمي – الذي يعود لأسباب عدَّة؛ منها: موقف الصوفيَّة من العلوم الدنيوية كما سيتضح – كان بوابةَ اجتراء الدول الأوربية على الدولة العُثمانية، وتحكُّمهم بها، ومِن ثَم كان الضعف والهزيمة النفسية التي شعر بها العثمانيون، وتلا ذلك سقوط الخلافة العُثمانية.

"ومما يُنبئ عن مقدار خمول تركيا في ميدان العلوم والصناعات أنَّ صناعة السفن لم تدخلْ في تركيا إلا في القرن السادس عشر المسيحي، ولم تدخل المطابع في العاصمة والمحاجر الصحية في هذه الدولة إلا في القرن الثامن عشر، وكذلك مدارس الفنون الحربية على النسَق الأوربي، وفي آخر هذا القرن كانتْ تركيا بمعزل عن الصناعات والاكتشافات، حتى لَمَّا شاهدوا بالونًا يُحلّق فوق العاصمة ظنوه مِن أعمال السحر والكيمياء! قد سبَقَتْها دول أوربا الصغيرة في الأخذ بأسباب المدنيَّة والرفاهة العامة، وحتى سبقتها مصر في اتخاذ السكك الحديدية واستعمال القطارات بأربعة أعوام وفي استعمال طوابع البريد ببضعة أشهر"[76]، ويكشف المصير الذي انتهى إليه مرصدُ غلطة عن التخلُّف العلمي الذي وصلتْ إليه الدولة العُثمانية، فقد أُسِّس هذا المرصد عام (1577م/ 984–985هـ)، وكان الوحيد مِن نوعه في العالم الإسلامي في ذلك الحين، غير أن المرصد دُمِّر وتم تحويلُه إلى أنقاض؛ وذلك لأجل فئة معارضةٍ كانت ترى أن علم الفلك يتعارض مع الدين. وفي مجال الطب فالعثمانيون لم يتعرفوا على تقدُّم الطب والصيدلة في أوربا إلا في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وذلك من خلال الترجمات التي أنجزها المعتنقون الجُدُد للإسلام، كان فيضي حياتي زاده المعروف بمؤلفاته الطبية بالتُّركية التي يعتمد فيها على مصادر غربية، من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، إلا أن هذه الترجمات لم تحملْ معها قطُّ المبادئَ الأساسية للتفكير العلمي الأوربي، بل كانتْ مجرد إضافة للمعرفة التقليدية [77].

ويذكر الغَزِّي أن التلغراف قد دَخَل إلى حلب سنة 1278هـ، وحين مدتْ أسلاك البرق، وقيل للناس: إنه ينقل الأخبار مِن بلد إلى آخر مهما كان بعيدًا في لحظة كطرف العين، أنكروا ذلك، وقالوا: لا شك أن الذي ينقل هذا الخبر شيطان مارد [78]!

وكل هذا يدل على مرحلة التأخر والضعف العلمي الذي وصلتْ له الدولة العُثمانية، لعوامل متعددة، أهمها نظرة المُتصَوِّفة للعلم.

يذكر الجَبَرْتي أن الوالي التركي أحمد باشا الذي ولي مصر سنة 116هـ قال لشيخ الأزهر عبد الله الشبراوي كلامًا

للنشر. والحديث وإن كان ضعيفًا فمعناه صحيح؛ إذ الكلمة المفيدة التي لا تنافي نصوص الشريعة ربما تقوَّه بها مَنْ ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها، فلا ينبغي للمؤمن أن ينصرف عنها، بل الأولى الاستفادة منها والعمل بها. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، رقم الفتوى: (21010)

[75] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (ص134). أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان

[76] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص139).

[77] انظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار (ص271).

[78] نهر الذهب في تاريخ حلب (390/3) كامل حسين الغزي، المطبعة المارونية.

معناه: إني سمعتُ عن مصرَ أنها منبع الفضائل والعلوم، ولكن وجدتها كما يقال: تَسْمَع بالمُعَيْدِيّ خيرٌ مِن أن تراه! وذلك لأن أحمد باشا قد تحدث مع بعض شيوخ الأزهر في العلوم الرياضية فلم يعرفوا شيئًا، فقال له الشيخ الشبراوي: إن غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيءٍ مِن العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض كعلم الحساب، ولأنَّ هذه العلوم تحتاج إلى أدوات وآلات ودقة الرسم وأهل الأزهر فقراء[79].

وكان المُلَّا لطفي[80] مدرسًا في عهد مراد الثاني، وعالمًا معروفًا في الرياضيات وعلم الكلام، غير أنه أزعج العلماء بأفكاره الحُرَّة، وبتندُّره على الخرافات؛ ولذلك شنَّ هؤلاء حملةً ضده واتهموه بالزندقة، وأطلقوا عليه لقبَ: المعتوه، وأصدر الحكم بإعدامه في سنة 1494م/899–900هـ في آت ميداني بإسطنبول! وقد توصل العلماء إلى موقف صارم ضد أي تجديد، سواء في العلوم العملية أو في العلوم العقلية في سنة 1716م/ 1128هـ، وأصدر شيخ الإسلام في الدولة العثمانية فتوى تحظر وقف الكتب الفلكية والتاريخية على المكتبات[81].

ويصف المؤرخ يلماز الوضع المتدهور الذي وصلتْ له الدولة بقوله: "لا نرى تقريبًا في العهود المتأخرة الحيوية العُثمانية السابقة، والسياسة العالمية التي دوَّخت القارات، انسحب الجميع، كل إلى معقِله، شلت الحيوية"[82].

إنَّ نظرة المُتصَوِّفة للعلم التي اتسمتْ بالاحتقار والاستهتار من العلوم بشقَّيْها الديني والدنيوي قد أدتْ إلى تخلف الدولة علميًّا، ومِن ثَم لجأت الدولة إلى التغريب، ومما دفَعها إلى ذلك الحالةُ العلمية التي وصلتْ لها في مقابل التفوق الأوربي علميًّا، كما قد رسخ لدى أجيال تركيا الجديدة أن الدين يتعارَض مع العلم، لذا اتجهتْ تركيا إلى التغريب، فكان السلطان عبد المجيد نصيرًا راسخًا لتغريب المؤسسات والثقافة التُّركية، وقد تأسستْ في عهده في إسطنبول أول جامعة حديثة، يحذو التعليم فيها حذو أوربا[83].

ولم يكنْ موقف الصوفيَّة من العلم يُمثِّل موقف الإسلام، بل كان موقف الإسلام على النقيض تمامًا؛ فقد نزل الوحي أول ما نزل بخمس آيات تتحدث حول قضية واحدة وهي قضية العلم.

فقد قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:1]، فكانتْ هذه الحقيقة الأولى التي ظهرتْ في الأرض عند نزول جبريل عليه السلام لأول مرة على رسول الله، وهي أنَّ دين الإسلام يقوم على العلم، ويرفُض الضلالات والأوهام جملةً وتفصيلًا، وكان هذا منهجًا ثابتًا في القرآن، فلا تكاد تخلو سورة مِن سوره من الحديث عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فضلًا عن السنة النبوية التي يعدُّ إحصاء ورود كلمة العلم فيها أمرًا يكاد يكون مستحيلًا، فعلى سبيل المثال قد وردتْ كلمة العلم في صحيح البخاري وَحْدَهُ أكثر من ثلاثمائة مرة! بل إن العلم في الإسلام يعدُّ أمرًا محوريًّا ورئيسًا في الحياة الإنسانية؛ لذلك أشار النبيُّ ﷺ في حديثه إلى أن الدنيا بكاملها لا قيمة لها – بل هي ملعونة – إلا إذا ازدانتْ بالعلم وذِكْر الله تعالى.

---

[79] الانحرافات العقدية والعلمية (ص635).

[80] ملا لطفي: أو دلي لطفي – أي لطفي المجنون–سنان الدين يوسف عالم عثماني جاء إلى إسطنبول من مدينة توقات، ودرس على كبار علماء عصره، دخل إلى التاريخ العثماني كأول عالم عثماني أعدم بتهمة الإلحاد والزندقة، عمل حافظًا للكتب في مكتبة السلطان الفاتح، ثم عين مدرسًا في إحدى المدارس. أعدم سنة 899هـ. انظر: الدولة العثمانية المجهولة (ص210).

[81] انظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار (ص272).

[82] تاريخ الدولة العثمانية (573/2).

[83] انظر: التصوف في تركيا وآثاره (ص426).

روى الترمذيُّ عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ– قال: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذِكْر الله، وما والاه، أو عالمًا أو متعلِّمًا)[84].

ولعِظَم قيمة العلم ومكانته؛ فقد امتدح الله أهل العلم في القرآن ونسب إليهم كلَّ صلاح وفلاح، بل وشهادة حق وعُمق نظرة ودراية، فيقول تعالى في إشارة إلى من أدرك منهم حقيقة التوحيد: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:18][85]، قال ابن القَيِّم – رَحِمَه الله – حين استشهده بهذه الآية في فضل العلم: "وهذا يدلُّ على فضل العلم وأهله من وجوه، – ثم ذَكَرَ عددًا مِن الأوجه منها –:

1/استشهادهم دون غيرهم من البشر.

2/ اقتران شهادتهم بشهادته.

3/اقترانها بشهادة ملائكته.

4/ أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإنَّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، ومنه الأثر المعروف عن النبي ﷺ: (يحمل هذا العلم مِن كل خلَفٍ عُدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[86].

5/ أنه سبحانه استشهد بنفسه – وهو أجلُّ شاهدٍ – ثم بخيار خلقه – وهم ملائكتُه والعلماء من عباده – ويكفي بهذا فضلًا وشرفًا"[87].

والمستقرئ لأحاديث السنة النبوية، والنصوص القرآنية، يُدرك أهمية العلم في الإسلام، وهي أكثرُ مِن أن تُحصى.

المبحث الثاني: انتشار الشرك والبِدَع في المجتمع العثماني وأثره في سقوط الدولة العثمانية:

حين اعتمد المُتصَوِّفة على مصادرَ مخالفة للقرآن والسنة، ترتَّب على ذلك انحرافُهم عن أصل التوحيد، وهو أمرٌ يستلزم الخروج عن الإسلام بالكلية في بعض الأحوال؛ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في مَعرِض حديثه عن خطورة التساهل بتحقيق التوحيد على الوجه الذي يرتضيه الله ورسوله: "اعلمْ أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها؛ لئلا يقَع في شيء منها وهو لا يشعر، ولتبين له الإسلام والكفر، حتى يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون على بصيرة في دين الله"[88].

---

[84] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل. حديث رقم (2322) قال الألباني: حديث حسن.

[85] انظر: العلم وبناء الأمم، راغب السرجاني (ص17). مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى 1428هـ

[86] أخرجه البيهقي في السنن، كتاب الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث. رقم الحديث. (20911) وصححه الالباني في المشكاة. كتاب العلم (ص83) انظر: السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد الالباني، المكتب الإسلامي.

[87] انظر: مفتاح دار السعادة (131/1) ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن قائد، دار عالم الفوائد.

[88] نواقض الإيمان القولية والعملية (ص6).

وقد انتشر بين المُتصَوِّفة الجهلُ والبِدَع والأمور الشركية، وكان هذا نتيجة اعتمادهم على مصادر مخالفة للقرآن والسنة، فوقعوا بما حرَّم الله، ولم يستبينوا الخطأ مِن الصواب، والكفر من الإسلام في أمور التوحيد.

وكانت الدولة العُثمانية في القرون الأخيرة غارقةً في كثير من مظاهر الشرك والبِدَع والخرافات؛ نتيجة ترويج المُتصَوِّفة لها، وحدوث انحراف في توحيد الألوهية، وانتكست الدولة عما كانتْ عليه في قرونها الأولى، حين كانتْ مُحققةً للتوحيد، ومُحاربةً للشرك[89]، فمِن الشواهد على ذلك أن السلطان مراد الثاني يخشى أن يدفنَ في قبر ضخم، أو أن يبنى على قبره شيءٌ، فكانت وصيَّتُه حين وفاته: (فليأتِ يومٌ يرى النَّاسُ فيه ترابي).

وهذا مما يدلُّ على حِرْص بعض السلاطين على حِفْظ التوحيد، لكن مراحل الدولة العُثمانية الأخيرة قد غلب على مجتمعها تفشِّي الشرك والبدع، ودعم سلاطينها هذا الانحراف الخطير، بل وكان لبعضهم إسهام به[90].

وتجلتْ مظاهر الشرك والبِدَع فيما يأتي:

أولًا: بعض مظاهر الشرك والبدع، وتمثلتْ في الصور الآتية:

1/ الغُلُوُّ في الأولياء:

غالت الصوفيَّة في تعظيم الأولياء غُلُوًّا شديدًا؛ إذ جعلوهم في مرتبة الذات الإلهية! فنسبوا إليهم ما هو مِن خصائص الله تعالى؛ كعلم الغيب، والتصرف في الكون، وإحياء الموتى، وشفاء المرضى، وإنقاذ الغرقى، وكل ما يُعد مِن خصائص الله سبحانه وتعالى؛ فانتشر في العهد العثماني، اعتقاد الناس بهؤلاء الأولياء، فمَن كانت له حاجة توجَّه إلى أحد المُتصَوِّفة وذكر له حاجته، ورجا منه كَشْف كربته فيما لا يَقْدِر عليه إلا الله، ومَن كان مريضًا ذهَب يطلب الشفاء مِن أحد الأولياء، فانصرفتْ قلوبهم عن الله تعالى، وتعلَّقتْ محبتهم بأوليائهم؛ فضعُف إيمانهم، وكثرت الأمور الشِّركيَّة في المجتمع العثماني، بل إن بعض الصوفيَّة كانوا يأمُرون الناس بأن يستغيثوا بهم، فكان أحمد بن زيني دحلان يأمُر الأعراب بذلك، ويقول لهم: لا تخافوا من شيءٍ أبدًا، وإذا حصل لكم ضيقٌ في أمرٍ فنادوني، واستغيثوا بي، فإني أُغِيثُ اللَّهفان[91]!

ويقول الشَّعْراني في ترجمته لمحمد القاضي: "وكانت له مُكاشَفات عجيبة، يقف الإنسان عنده من غير لفظٍ، فيُخبره بما في باطنه وبما جاء لأجله، ويقول له: افعلْ أو لا تفعل[92]"، واستقر أحد مشايخ الصوفيَّة في قريةٍ في حلب، وهو الشيخ طه بن جمعة الدسوقي، فكان الناس يأتونه بالنذور والذبائح، ويعتقدون فيه، ويتبرَّكون بدعواته وأنفاسه، ويرجون الشفاء على يده[93].

وكان الشيخ شهاب الدين – وهو مِن مشايخ الصوفيَّة – إذا نزل مِن كرسيِّه تهافتَ النَّاسُ عليه، لتحصيل البركة مِن يده، ومَنْ لمْ يستطع الوصولَ إليه، رمى رداءَه عليه حتَّى يلمسَ ثيابَه، ثم يأخذه ليمسح وجهه طلبًا لبركة

---

[89] وإن كان التصوف ملازم للدولة العثمانية منذ ظهورها، إلا أن كتب التاريخ تبين أن المتصوفة الأوائل لم يسعوا إلى نشر شركهم وبدعهم في المجتمع العثماني، إلا أنه حين قويت شوكتهم في الدولة، وكان لبعض الطرق نفوذ قوي في الدولة العثمانية استطاعوا من خلاله نشر معتقدهم في المجتمع العثماني.

[90] انظر: الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط (ص508).

[91] انظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (ص364).

[92] الطبقات الوسطى: (1075/2).

[93] انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (753/2).

الشيخ – كما يزعمون[94].

وقد انتشرتْ هذه الاعتقاداتُ بالأولياء حتى شملت القصر السلطاني "الأستانة"، فقد كان مملوءًا بالمشعوذين والدَّجَّالين من مشايخ السوء الذين يختلقون للسلطان ما تهواه نفسه مِن الرؤيا المزعومة، ويُفسِّرون له الأحلام بما يرضيه؛ فكان أبو الهدى الصيادي[95] من المقرَّبين للسلطان عبد الحميد –رحمه الله–، وكان يرى محبة السلطان للدين وتصديقه بعجائب الأخبار والنبوءات، فكان يُزوِّده كُلَّ يوم بعجيبةٍ من العجائب؛ فحينًا يُبلغه سلامَ النبيِّ – صلى الله عليه وسلم–، وأخرى يقص عليه رؤيا يزعم أنه رآها ويفسرها له بما يلائم هواه ويرضيه[96].

إن وصول هذه الاعتقادات لقصر الأستانة، وتلقِّي السلاطين لها بالقبول، وتقرُّبهم إلى مشايخ الصوفيَّة – شاهدٌ على رسوخ هذه المُعتَقَدات في المجتمع العثماني، ورسوخ معتقد تعظيم الأولياء، وأنَّ مَنْ يُعرض عنهم أو يُنكر عليهم ولا يُؤدي لهم التعظيم اللائق؛ فإنه مُعرَّض لغضب الأولياء وسخَطهم، فقدِ ادَّعى مشايخ الصوفيَّة أنَّ مَنْ يتعرَّض لشيخ من مشايخ الصوفيَّة بالإنكار عليه، فإنه مُعرَّض للوعيد الشديد عاجلًا أم آجلًا؛ فيروي الشَّعْراني عن الشيخ الصوفي محمد التونسي: أنه كان يقول على رؤوس الأشهاد في درسه: "لعن الله مَن أنكر على أهل الطريق، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل: لعَنَهُ الله[97]".

كما كان من أقوال محمد التونسي قوله: "ما اعترض أحدٌ على أهل الطريق وأفلح أبدًا"[98]، "وقد أكثر أرباب الطرُق مِن الدعوة إلى احترام التصوُّف، والتحذير مِن الإنكار على أهله، وقد حفلتْ كتبُهم بالإلحاح في الدعوة إلى التصديق بالكرامات والتسليم بمزاعم الأولياء، والإسراف في تصوير المصير السيئ الذي ينتظر المنكرين ومَن سار سيرتهم"[99].

وهو دليل على جهد مشايخ الصوفيَّة في ترسيخ عدم الاعتراض على الأولياء والمشايخ من المُتصَوِّفة بين العامة.

ويَذْكُر أحد الرَّحَّالة ممن زار مكة المكرمة في ذلك العهد، أنه انتشر بين الناس أساطير وكرامات عن رجلٍ يقال له: أبو طالب، ومما يُقال عنه: إن جماعة من الناس كانوا يجتمعون عند قبره كعادتهم يقرأون القرآن، وبين أيديهم شمعة تُضيء بليل فوقعتْ على الأرض فانطفأت، فتحيَّرُوا فلم يجدوا مَن يوقدها لهم، فانشق القمر عيانًا فخرج منه أبو طالب وأوقد لهم الشمعة ورجع[100]!

---

[94] انظر: الطبقات الوسطى (1175/2).

[95] أبو الهدى بن حسن وادي بن خزام الخالدي الصيادي: ولد في سنة 1266هـ، من مشايخ الطريقة الرفاعية، تولى مشيخة الإسلام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، من مؤلفاته: الجوهر الشفاف في طبقات السادة الأشراف، شفاء صدور المؤمنين في هدم قواعد المبتدعين. توفي سنة 1328هـ. انظر: حلية البشر (76/1).

[96] انظر: التصوف وآثاره في تركيا (ص271).

[97] الطبقات الوسطى (725/2).

[98] المرجع السابق (725/2).

[99] التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص166).

[100] انظر: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (509/2) الحسين بن محمد الورثيلاني، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1429هـ.

وقد كان السلطان سليمان القانوني على صُحبة دائمة بالشيخ الصوفي يحيى أفندي، وكان يعدُّه أستاذًا له، لِمَا ليحيى من كرامات – كما كان يعتقد السلطان سليمان –، وكانتْ من كراماته المشهورة أنه كان يلتقي بالخضر عليه السلام، فكان السلطان سليمان كثيرًا ما يطلب من شيخه يحيى أفندي أن يسمحَ له برؤية الخضر ومقابلته، فكان يقول لشيخه: "لو تتفضلون علينا ونرى الخضر نحن أيضًا!"[101].

إنَّ أول سببٍ وأعظمه قد أوقع بني آدم في الشرك الأكبر كان الغُلُو في الصالحين [102]، فقد روى البخاريُّ في صحيحه عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه أخبر عن أصنام قوم نوح أنها صارتْ في العرب، ثم قال: (أسماء رجال صالحين مِن قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعْبَد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم، عُبِدَتْ)[103].

وقد حذَّر النبي – ﷺ – من الغُلُو بوجهٍ عامٍّ، فقال: (إياكم والغُلُو، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو)[104].

وقال العلامة شكري الألوسي: "وقد علمتُ أن الذي أوقع المشركين السابقين في شبكة الشرك هو: غُلُوهم في المخلوق، وإثبات خصائص الألوهية لغير الله تعالى، كما هو ديدن غلاة زماننا"[105].

كما أنَّ المبالغة في مَدْح المخلوقين، قد تُؤدي إلى الشرك الأكبر، كما هو الحال عند المُتصَوِّفة، الذين أدَّى بهم غُلُوهم في أوليائهم ومشايخهم، إلى اعتقاد تصرُّفهم بالكون، وأنهم يسمعون كلامَ مَن دعاهم ولو من بُعد، وأنهم ينفعون ويضرون، ويعلمون الغيب[106]، في حين أن الله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [سورة فاطر:13]، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سورة سبأ:22]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة الحج:6].

فهذه الآيات وغيرها تدلُّ على تصرُّف الله تعالى وحده بالكون، وأنَّ من خصائص ربوبيته تعالى إحياء الموتى، وعلم الغيب، فمَن ادَّعى لأحد من المخلوقين شيئًا مِن خصائص الله فقد أشْرَك معه غيره.

2/ الاستغاثة بالأموات والاستمداد منهم:

يُعظِّم جُلُّ الصوفيَّة أولياءهم ومشايخهم حال حياتهم وبعد وفاتهم؛ وذلك لاعتقادهم بتصرف الأولياء في الكون، وأنَّ بِيَدِهم مفاتيح السماوات والأرض، واعتقدوا بحصول النفع ودفع الضر على يدهم؛ مما ترتب عليه أن توجه عامة الناس إليهم بالدعاء، وطلب تفريج الكربات، وقضاء الحاجات!

وانتشر في المجتمع العثماني أن الأولياء لا يموتون، وأن الولي ينتفع به المريدُ حتى في حال موته، ومن ذلك قول محمد التونسي في دروسه للمريدين والعامة: حاشا الولي أن يموت، إن من الأولياء من ينتفع به مريده

---

[101] انظر: سلطان حكم العالم، (ص43). طلحة أغورلو إل، ترجمة عبد القادر عبد اللي، وزارة الثقافة في الجمهورية التركية، الطبعة الأولى 1436هـ.

[102] انظر: شرح تسهيل العقيدة الإسلامية (ص322). عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة 1433هـ

[103] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: "ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق". حديث رقم (4920).

[104] أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب: قدر حصى الرمي. حديث رقم (3029) قال الألباني: حديث صحيح.

[105] جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (ص824). شمس الدين الأفغاني، دار الصميعي، الطبعة الأولى 1416هـ.

[106] انظر: المرجع السابق (ص324).

بعد موته أكثر مما ينفعه حال حياته[107].

لذلك شاع مصطلح (ولي قلت)، وهو مصطلح يطلق على شخص يعتقدون أنَّ فيهِ قُوَّةً وقُدرةً خارقةً للعادة، قريبًا مِن الله تعالى، يمكنه المساعدة سواء في حياته أو بعد مماته، وبناء على هذا يتم تقديس هذا الشخص، وقد كان بعض المريدين يسعى في إشاعة هذا المصطلح عن شيخه؛ فهذا أبو الهدى الصيادي شيخ الطريقة الرِّفاعيَّة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني – رَحِمَه الله – وصاحب الكلمة المسموعة لديه، يحثُّ الناس على الإشراك بالله، ويطلبهم التوجه بالاستغاثة لقبر شيخه، فيقول: "إنَّ مَن ضاق حاله لمهمة أو حاجة أو عسر عليه مقصد أو كان عليه دين أو كان في سجن، أو بغى عليه ظالم؛ فلْيَتَوَضَّأ ويصلي لله ركعتين، ويصلي على النبي مائة مرة، ويكون ذلك العمل في بيت خالٍ! ويقرأ الفاتحة للنبي وآله وأصحابه أجمعين، ويتوجه قائمًا للشرق لبر البصرة لفلاة أم عبيدة محل مرقد حضرة الغوث الحسيني السيد أحمد، وينادي بالاعتقاد والانكسار: (يا غوث الخلق، يا أبا المدد، يا غوث الثقلين، يا مبرد النار، يا مبدل السموم، يا معنى عناية الحي القيوم، يا مبرئ الجروح، يا باب الله المفتوح، يا مقوم كل أعوج، يا صاحب التصرف في الحياة والممات أغثني، أدركني يا أحمد، يا بهجة الأولياء، يا مجيب الداعي، يا نعم المراعي، يا أحمد الرفاعي، أغثني، أغثني، أغثني، ويذكر حاجته ويخطو ثلاث خطوات لجهة الشرق وفي كل خطوة يقول: يا أحمد الأولياء، رضي الله عنك أغثني، ويقرأ الفاتحة... فإنها تقضى بعون الله تعالى بلا شك)"[108].

وهذا شاهد على إشاعة مشايخ التصوُّف للاعتقاد بالأموات مِن الأولياء والاستشفاع بهم بين العامة، ونشرهم للشرك في المجتمع العثماني.

كما كانت هذه الأمور الشِّركيَّة حاضرة حتى عند بعض السلاطين العُثمانيين، فيذكر أولياء جلبي في رحلته في أثناء مرور السلطان سليم الأول بيني شهر في بورصة، زار ضريح أمير البخاري لكي يطلب المدد من روحانيته، وفي أثناء الزيارة سمع صدى صوت يقول له: يا سليم، ادخُلوا مصر إن شاء الله آمنين، فدخل سليم مصر آمنًا مسالمًا وانتصر فيها!

وقد كتب السلطان سليم الثالث رسالةَ تضرُّع للنبي من دون الله، ووضعها عند قبر النبي، وقد كتب فيها: "من عبيدك السلطان سليم، وبعدُ: يا رسول الله، قد نالنا الضر، ونزل بنا من المكروه ما لا نَقْدِر على دفعه، واستولى عُباد الصلبان على عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم، والعون عليهم، وأن تكسرهم عنا"[109].

وكان هذا الأمرُ شائعًا أيضًا في الولايات العُثمانية؛ ففي بغداد انتشرت الشائعات بين الناس عن رجل يقال له: "كنج عثمان"، وكان عثمان من قادة الجيش العثماني، وقد مات قبل فتح بغداد، وحين موته ظنَّ الناس أنه قد استشهد في المعركة، وانتشرتْ بينهم الأساطير عنه وعن كراماته، فقيل: إنه كان عند فَتْح بغداد يحمل راية أمام السلطان مراد، فقطعت يداه، لكن الراية ظلَّتْ تمشي وحدها من غير أن يحملها أحدٌ! وقد صار قبر "كنج عثمان"

---

[107] انظر: الطبقات الوسطى (2/ 725).

[108] قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، محمد الرفاعي. دار الكتب العلمية (ص 241).

[109] انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد. (304/1).

مزارًا لأهل بغداد، فبُنيتْ عليه قبة، وأصبح الناس يعتقدون بشفاعته نظرًا لكراماته[110].

وقد عمَّت هذه الشركيات الدولة العُثمانية وولاياتها، واتَّسَعَتْ مع اتساع رقعة الدولة، وتحولتْ قلوب الناس وصَرَفوا عبادتهم إلى المخلوقين مِن مشايخ وغيرهم.

وقد انحرفت الصوفيَّة عن النهج الصحيح والطريق المستقيم بتوجُّهها للمشايخ والأولياء من دون الله؛ فإن الله تعالى هو جالب النفع، ودافع الضر، وقاضي الحاجات، وغياث المستغيثين، وناصر المظلومين، وهذا من خصائص ربوبيته سبحانه وتعالى، فقد قال سبحانه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة الأنعام:17]، بل إن الله تعالى قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 188].

فإن كان الرسولُ –ﷺ– لا يملك النفع والضر، فكيف يدَّعي مشايخ المُتصَوِّفة ذلك؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة –رحمه الله–: "فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله، فهو غياثُ المستغيثين؛ فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مُقرَّب ولا نبي مرسل، ومَن زعَم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كَشْف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى غيره فهو كاذبٌ ضالٌّ مُشرك"[111].

وقال الشيخ صنع الله الحلبي في كتابه الذي ألَّفه في الرد على مَنِ ادَّعى أنَّ للأولياء تصرفًا في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة: "هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبِهَمِّهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مُستدلين على أن ذلك منهم كرامات...، وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي؛ لِمَا فيه من روائح الشرك المحقق، مضادة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعتْ عليه الأمة.

فأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، فيرده قوله: {أَإِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ} [النمل: 60]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:54]. ونحوها مِن الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيءٍ ما بوجه من الوجوه، فالكلُّ تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا، وإحياء وإماتة"[112].

وقال الإمام ابن القَيِّم –رحمه الله–: "ومِن أنواعه –أي: الشرك– طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصلُ شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها"[113].

فأجمع العلماء على أنَّ مَن صرف شيئًا مِن أنواع العبادة لغير الله –والتي منها الدعاءُ والاستغاثة به

---

[110] انظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (88/1) علي الوردي، مطبعة أمير قم، الطبعة الأولى 1413هـ.

[111] مجموع الفتاوى (437/11).

[112] انظر: تيسير العزيز الحميد، (ص431) سليمان عبد الله، تحقيق: أسامة عطايا العتيبي، دار العصيمي، الطبعة الأولى 1424هـ.

[113] مدارج السالكين (1/ 353).

سبحانه– فقد أشرك، ولو قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصلى وصام؛ إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين: ألا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبَد غير الله، فما أتى بهما في الحقيقة وإنْ تلفَّظ بهما كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله، وهم مشركون، ومجرَّد التلفُّظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعًا [114].

3/ اتخاذ القبور مساجد:

من الأمور البدعية التي ظهرتْ في الدولة العُثمانية بناء المساجد والقِبَاب على الأضرحة والقبور، على الرغم من النصوص الصريحة الواضحة في القرآن والسنة، وذلك إنما يدلُّ على الجهل بأمور الدين بين العامة، والبُعد عن منهج العقيدة الإسلامية الصحيحة.

فالأَضْرِحَة والقِبَاب كانتْ تُبنى على قبور الأنبياء والصحابة، بل كان الناس يضَعون نفائسَ الأموال من الذهب والفضة عند القبور حين زياراتهم لها، فيذكر محمد لبيب صاحب الرحلة الحجازية عن كسوة الحجرة الشريفة وعن مدخراتها وكنوزها أنَّ الخيزرانة أمَّ هارون الرشيد هي أوَّل مَن كَسَا الحجرة الشريفة، وصارتْ بعدها سُنَّةُ الملوك والسلاطين [115].

وفي الإستانة عاصمة الدولة العُثمانية يوجد أربعمائة وواحد وثمانون جامعًا – بُنِيت في فترات مختلفة من تاريخ الدولة– لا يكاد يخلو جامع فيها مِن ضريح، وأولها قبر أبي أيوب الأنصاري –رضي الله عنه –؛ فقد بُني عليه جامع ضخم، وهو أقدسُ جامع فيها عندهم، كما لم يقف الأمر عند قبور الأنبياء فقط، بل تعدَّاه إلى بناء القِبَاب والمساجد على قبور بعض المُتصَوِّفة والأولياء؛ فقد أمر السلطان عبد المجيد – رَحِمَه الله – ببناء قُبةٍ عظيمة ومسجد على قبر خالد النَّقْشَبَنْدِي ومقاصير عدَّة للمريدين والمتجرّدين، ومطبخ وبركة عظيمة للماء[116].

"وفي سنة 1293هـ ورد أمرٌ مِن السلطان عبد الحميد الثاني بتعمير المراقد على نظارة والي البصرة (ناصر باشا سعدون)، ثم في سنة 1305هـ أمر السلطان عبد الحميد بتبييض القِبَاب وتعمير المسجد، وأمر أيضًا بكِسْوتين للضريحين (الزبير وعتبة بن غزوان) من الحرير المُطَرَّز بالفضة"[117].

شكلتْ هذه الأمور البِدْعيَّة مع مرور الزمن عادةً عند العوَامّ في مختلف أرجاء الدولة العُثمانية، وما ذلك إلا دليل على شدة انتشار هذه البدعيات، وعلى تعطيل شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ذلك العهد، وقد ذكر عبد العزيز العظمة مِن جملة عادات أهل الشام في العهد العثماني والأمور التي انتشرتْ بينهم في ذلك العهد أنهم يشيدون صروحًا من المرمر وغيرها من الأحجار القيمة على القبور، ويضعون عليها في أيام المواسم باقات الزهور والرياحين، وتُكلفهم القِبَاب ونحوها مما يبنونه للقبور مبالغ طائلة، لو بُذِلَتْ على المحتاجين لكَفَتْهم[118].

وقد نهى المصطفى –ﷺ– عن اتخاذ القبور مساجدَ، وحذر من الغُلُو في قبور الصالحين؛ ومن الأحاديث

---

[114] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص425).

[115] انظر: الرحلة الحجازية، محمد لبيب، مطبعة المعارف (ص47).

[116] انظر: دليل الأستانة، م. شكري، مطبعة جرجي (ص48).

[117] الانحرافات العلمية والعملية (ص171).

[118] انظر: مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها (ص90). عبد العزيز العظمة، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، دار رياض الريس.

التي وردت عنه ﷺ: قوله: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[119].

قال الحافظ ابن حَجَر رحمه الله: "وكأنه –ﷺ– علم أنه مرتحل؛ فخاف أن يعظم قبره كما فعَل مَن مضى، فلَعْن اليهود والنصارى إشارة إلى ذمّ مَن فعَل فِعْلهم"[120].

وقال –ﷺ–: (ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)[121].

فشدَّد النبي ﷺ النكير؛ لقُبح الفعل وعظيم أثره في الانحراف عند العقيدة الصحيحة، وكونه مدخلًا إلى الشرك والوثنية.

قال محمد بن إسماعيل الصنعاني في كتابه تطهير الاعتقاد: "فإنَّ هذه القِبَاب والمشاهد التي صارتْ أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه، غالب – بل كل – مَن يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم، أو على من يحسنون الظن فيه مِن فاضلٍ أو عالمٍ أو صوفيٍّ أو فقيرٍ أو شيخ كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات مِن دون توسل به، ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرض مَن يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبرًا قد شيد عليه البناء، وسرجتْ عليه الشموع، وفُرش بالفراش الفاخر، وأُرخيت عليه الستور، وأُلْقِيَتْ عليه الورود والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضرٍّ، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فَعَل وفَعَل، وأنزل بفلانٍ الضر وفلانٍ النفع، حتى يغرسوا في جِبِلَّتِه كل باطل، والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية، مِن لعن مَن أسرج على القبور، وكتب عليها، وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعةٌ معروفة، فإن ذلك في نفسه منهيٌّ عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة"[122].

ثانيًا: بعض مظاهر البِدَع، وتَمَثَّلَتْ في الصور الآتية:

1/ بِدَعهم فيما يختص باعتقادهم بالرسول –صلى الله عليه وسلم–:

يعتقد المُتصَوِّفة على اختلاف طُرُقهم بالنبي –ﷺ– اعتقادات شتى، منها: أن بعضهم يعتقد "أن الرسول محمدًا هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقتْ من نوره، وأنه أول موجود"[123]، وأنه الإنسان الأكمل، وهو عينُ الوجود الصادر عن الله، وكل ما عداه مخلوقٌ منه، فالطبيعة ظاهره وهو باطنها[124].

لذا ابتدع المُتصَوِّفة بدعًا كثيرة، وادعوا أنها من كمال محبة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وأن عدم فِعْلها يقتضي بُغض الرسول، وتمثلتْ بِدَع المُتصَوِّفة في العهد العثماني فيما يأتي:

---

[119] أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، حديث رقم (436).

[120] فتح الباري في شرح صحيح البخاري (532/1).

[121] أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور. حديث رقم (532).

[122] تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد(ص95). محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: أبي العباس محمد بن جبريل، دار الإمام الوادعي، الطبعة الأولى 1430هـ.

[123] الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص58).

[124] النقشبندية عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (ص315).

أ/ بدعة المولد النبوي:

في العهد العثماني عُدَّ الاحتفال بالمولد النبي مِن الواجبات، فقد اعتادت الدولة على تنظيم الكثير مِن الاحتفالات تسمى باحتفالات التبريك، وهي التي كانتْ تجري بمناسبة اليوم الأول من محرم، والمولد النبوي، والليالي المباركة الثلاثة الرغائب، والمعراج والبراءة[125].

ولم يكن الاحتفالُ يقتصر على العامَّة، بل كان السلاطين العثمانيون يحتفلون به أيضًا، وشملت الاحتفالات ولايات الدولة كذلك؛ وذلك لأنَّ الشائعة التي نشرها المُتصَوِّفة بين الناس تقتضي أنَّ من لم يحتفل بالمولد النبوي، ويُظهر الفرح والسرور في ذلك اليوم، فهو العدوُّ المُبغِض للرسول -ﷺ-، فبُنيت هذه البدعة بناءً على المحبة للرسول -ﷺ- [126].

"وقد كان يُنادَى في الإسِتانة عاصمة الدولة العُثمانية وولاياتها، للاحتفال بالمولد في كل سنةٍ، فقد كان السلاطين العثمانيون يحتفلون بالمولد النبوي في أحد الجوامع الكبيرة بالإسِتانة حسب اختيار السلطان، وكان الاحتفالُ به يقوم على إنشاد قصيدة وسيلة النجاة، التي فرضها سليمان جلبي عام 812هـ، وقد كانت تُنشد في احتفالات المولد رسميًّا منذ عهد السلطان مراد الثالث، وحين تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة قصر احتفالاته على جامع الحميدي، وعندما تحين ليلة المولد في الثاني عشر من ربيع الأول يحضر إلى الجامع عظماء الدولة وكبراؤها من الأمراء والعلماء والوزراء، وجميعهم بالملابس الرسمية، والكساوي التشريفية، وعلى صدورهم النياشين بأنواعها، ثم يقفون في صفوف مُتراصَّة، ونظامٍ تامٍّ؛ انتظارًا لتشريف السلطان، وفي هذه الليلة يخرج السلطان من قصر يلدز ممتطيًا جوادًا بسرج من الذهب الخالص، وقد حف الموكب به، ورفعتْ على رأسه الأعلام، ويسير وسط الجماهير المحتشدة، حتى يصلَ إلى الجامع، فيبدأ في رسوم المولد وفقراته، حتى تنتهي فيعود إلى قصره"[127].

ويذكر الجَبَرْتي أنه نُودي يوم الثلاثاء 11 ربيع الأول سنة 1230هـ بزينة البلد ووقود القناديل، والسهر ثلاثة أيام بلياليها[128].

كما كان الاحتفالُ بالمولد يُقام في الولايات العُثمانية أيضًا، ففي المغرب يَذْكُر ابن أبي الضياف عن الباي أحمد أنه احتفل بالمولد علم 1256هـ فيقول: "كان يوم المولد بحاضرتنا كمواسم السنة غير العيدين، يزيد باجتماع الصبيان في الكتاتيب المفروشة يُصلون على النبي، وقد أمر الباي بتنوير المآذن الحاضرة ليلة المولد وليلتين بعده، وفي ضُحى المولد يجتمع الأعيان والعلماء بالجامع الأعظم، ويأتي الباي إلى المولد من قصره راجلًا، وأمامه سماطان من أمراء العسكر بلباس المواكب، يشق بهم سماطين من العسكر واقفين على أهبة نظامية. ثم يبدأ في قراءة المولد والأبيات..."[129].

ويقول السُّنوسي في زيارته بيروت: "وقد حضرتُ يوم المولد بجامع سيدنا يحيى، فجلس إمامُه على منصة

---

[125] تاريخ الدولة العثمانية (280/2).

[126] انظر: التصوف وآثاره في تركيا (ص299).

[127] تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الاسلام الاول الى عصر فاروق الأول، حسن السندوبي (ص149).

[128] عجائب الآثار (297/7).

[129] إتحاف أهل الزمان (ص88).

الختمة، وأخذ يَتَرَنَّم بقراءة المولد النبوي، وهو مولد رجز من نَظْم الأديب الإسحاقي، والحاضرون يترنمون بالصلاة على النبي في كل موقف، وعند انتهائه يوزع القيمون قراطيس من الحلويات الشامية على جميع الحاضرين"[130].

وقد كانتْ ليلة المولد تُقام فيها كثير من الأمور المحرَّمة، والتي نص القرآن والسنة على تحريمها؛ فالرقصُ والغناء وغيرها من الأمور جميعها مِن مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي! بل إن مِن عادات الناس في هذا الاحتفال، أنه إذا طلعت الشمس في عيد المولد يرقص بعض الناس لها، ويقولون ما يدلُّ على أن الشمس إنما استمدتْ أنوارها من أنوار النبي[131].

وهكذا كان الناسُ في العهد العثماني يحتفلون بهذا اليوم البِدْعي، بل ويُظهرون من علامات الفرح والسرور به أكثر مِن احتفالهم وفرحهم بالأعياد الشرعية، وذلك لاعتقادهم أن في هذا إظهارًا لمحبة النبي كما ادَّعى المُتصَوِّفة وأشاعوه بينهم!

ب/ التبرُّك بآثار النبي على وجه غير مشروع.

يصف المؤرخ التركي يلماز الحجرة المخصَّصة في قصر طوب كابي في إسطنبول بالآثار النبوية، والتي تُعرف عند العُثمانيين بالأمانات المباركة، فيقول: "شيد جناح الأمانات المقدسة الذي يحتوي على البردة الشريفة، السلطان ياووز سليم، ويتكون من أربع صالات...، يُقرأ القرآن في هذا الجناح مِن قِبَل أربعة وعشرين حافظًا يوميًّا خلال أربع وعشرين ساعة بلا انقطاع...، يحتوي "خرقة سعادة" أي – البردة الشريفة – الذي يحمل اسم بردة الرسول، على علم الرسول المسمى "سنجق شريف" – أي: الراية الشريفة – وسيف واحد لكلٍّ مِن الرسول، وعمر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه، وقوس الرسول، وحاجيات أخرى للرسول والخلفاء الأوائل"[132].

وكان السلطان سليم يحتفل بزيارة الحجرة الشريفة مع عظماء دولته في شهر رمضان، واستمرتْ هذه الاحتفالات خلال عصور السلاطين بعده.

وقد وصَف شكيب أرسلان مراسمَ هذه الاحتفالات بعد حضوره لها مراتٍ عدَّةً، فيقول: "وأمَّا المُخلَّفات النبوية التي أخذها السلطان سليم الأول العثماني من آخر خلفاء بني العباس عندما فتح مصر، فلها في سراي (طوب قبو) كوشك خاص بها، وأهمها البردة الشريفة في سفطٍ ثمينٍ، كان السلطان سليم رتب عندها اثني عشر حافظًا يقرؤون كتاب الله بالمناوبة؛ بحيث لا تنقطع التلاوة لا ليلًا ولا نهارًا، وكان السلاطين يحتفلون بزيارتها في وسط رمضان في يوم مشهودٍ يكون فيه السلطان والأسرة المالكة والوزراء والقواد وأعضاء مجلسي الأعيان والنواب، وقد حضرتُ هذه الحفلة مرارًا، وكان السلطان يجلس على دكة وأمامه الصندوق الذي فيه السفط، ثم يتقدم المدعوون للحفلة واحدًا بعد واحدٍ حسب برنامج معلوم، فيرقى الواحد منهم درجة الدكة ويصير أمام الصندوق، وينحني، ويُقبِّل الصندوق من أعلاه، ويكون السلطان قد تناول منديلًا فمسح به على وجه الصندوق فيناوله إياه وينصرف سائرًا من غير الجهة التي جاء منها، إلى أن تنتهي المراسم، والسكوت التام والخشوع العظيم سائدان عليها، بحيث لا يسمع الإنسان فيها

---

[130] الرحلة الحجازية (324/2).

[131] انظر: المعسول (ص32) محمد مختار السنوسي، مطبعة الدار البيضاء.

[132] تاريخ الدولة العثمانية (301/2).

إلا صوت قارئ يتلو القرآن في وسط البهو الذي فيه الحفلة"[133].

ومِن خلال عرض مسألة التبرُّك بآثار النبي –ﷺ– فضلًا عن إقامة الحفلات وما يَصْحَبُها من مراسم وأمور مبتدعة على مذهب أهل السنة والجماعة يتضح الآتي:

1/ كان الصحابة رضي الله عنهم يَتَبَرَّكون بالنبي –ﷺ– في حياته وبعد مماته، وقد ثبت ذلك عنهم من خلال عدة مرويات منها: ما ورد عن أنس –رضي الله عنه– قال: لقد رأيتُ رسول الله والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل".

وقد عقَد مُصنِّفو الأحاديث أبوابًا تتضمن أحاديث كثيرة، تدلُّ على تبرُّك الصحابة بالنبي –ﷺ– [134]، وأما استمرار تبركهم بالنبي –ﷺ– في حال موته؛ فقد عقَد الإمام البخاري رحمه الله بابًا بعنوان: "باب ما ذكر مِن درع النبي وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده مِن ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته، ثم ساق البخاري جملة من الأحاديث منها:

عن عيسى بن طهمان قال: "أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين، لهما قبالان، فحدثني ثابت البناني بعد عن أنس: أنهما نعلا النبي".

كما جاء في صحيح مسلم –رحمه الله– أن أسماء بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما– أخرجتْ جُبة طيالسة، وقالت: "هذه كانتْ عند عائشة حتى قبضت، وكان النبي يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها".

2/ ثبت تبرُّك التابعين بآثار النبي –ﷺ–، وقد صح وقوع ذلك منهم، ومن الشواهد على ذلك:

أنَّ الإمام البخاري روى عن ابن سيرين –رحمه الله– قال: قلتُ لعبيدة عندنا مِن شعر النبي أصبناه مِن قبل أنس – أو مِن قبل أهل أنس – فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليَّ من الدنيا وما فيها"[135].

كما كان التابعون –رحمهم الله– يَتَبَرَّكون بالشُّرب في قدح النبي –ﷺ–، فقد عقد الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب الأشربة، بابًا بعنوان: "باب الشرب من قدح النبي وآنيته"، ثم ذكر في هذا الباب حديثين فقط.

3/ يتضح مما سبق أن التبرُّك بآثار النبي –ﷺ– أمر مشروع، وهي لا تقتصر على الصحابة أو التابعين –رحمهم الله– فقط، بل بركة آثار النبي باقية، وليس هناك ما يرفعها [136]، لكن مشروعية التبرُّك متعلِّقة بصحة نسبة هذه الآثار إلى النبي، وكذلك بالتبرك بها على النحو الذي كان يفعله الصحابةُ والتابعون –رضي الله عنهم– وهو تبرُّكٌ يُشعِرُ بنوعٍ مِن التعظيم المتوافق مع الوحي، ومع ما يُثبته أهلُ السنة والجماعة من بركة النبي ومعجزاته الثابتة في الكتاب والسنة.

وبناءً على هذا، فإن الآثار المنسوبة إلى النبي في العصر الحاضر لا بد أولًا من التأكد من صحة نسبتها إلى النبي، لا سيما حين وردت الأدلةُ التي تؤكد على قلة ما تركه النبيُّ –ﷺ–، من ذلك ما جاء في صحيح البخاري رحمه الله عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: "ما ترك رسول الله عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا

---

[133] حاضر العالم الإسلامي (231/1) لوثروب ستودارد، تحقيق: شكيب أرسلان، عجاج نويهض، دار الفكر

[134] انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل (ص1080).

[135] أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب: الماء الذي يغسل به شعر الانسان. حديث رقم (170).

[136] انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (ص256) ناصر عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد.

أمة، ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة".

وقد قال صاحبُ الآثار النبوية بعد أن سرد الآثار المنسوبة إلى النبي –ﷺ– وغيره في القُسْطَنْطِينيَّة: "لا يخفى أن بعض هذه الآثار محتمل الصحة، غير أنا لم نرَ أحدًا من الثقات ذكرها بإثباتٍ أو نفيٍ، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتمَ ما يخامر النفس فيها مِن الريب ويتنازعها من الشكوك"، وقال فيما يخص ادِّعاء البعض بوجود شعرات منسوبة إلى الرسول في كثيرٍ من البلدان الإسلامية، وقد قيل: إن القُسْطَنْطِينيَّة فيها وحدها ثلاث وأربعون شعرة سنة 1327هـ، فقال بعد أن ذكر بعض الأخبار والادعاءات التي تتداول بين العامة بشأن ذلك:" فما صحَّ من الشعرات التي تداولها الناس بعد ذلك، فإنما وصل إليهم مما قُسم بين الأصحاب رضي الله عنهم، غير أن الصعوبة في معرفة صحيحها مِن زائفها"[137].

ويقول الشيخ الألباني –رحمه الله–: "ونحن نعلم أن آثاره –صلى الله عليه وسلم–؛ من ثيابٍ، أو شعر أو فضلات، قد فُقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين"[138].

كما أنَّ آثار النبي –ﷺ– قد ثبَت فقدانها على مدى الأيام والقرون، بسبب الضياع، أو الحروب والفتن، وغير ذلك. ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

أ/ جاء في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنه قال: "اتخذ رسول الله خاتمًا مِن ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع منه في بئر أريس، نقْشُه: محمد رسول الله"[139].

ب/ فقدان البردة والقضيب في آخر عهد الدولة العباسية، حين أحرقهما التتار عند غزوهم لبغداد سنة 656هـ[140].

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى–: "وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلَفًا عن سلف، وكان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب، ويُبهر الأبصار".

جـ. ذهاب نعلين يُنسبان إلى النبي في فتنة تيمور لنك بدمشق سنة 803هـ[141].

وبناء على ما ذكر فيتوجب أولًا إثبات صحة نسبة هذه الآثار الموجودة في قصر (طوب كابي) إلى النبي –ﷺ–، ثم على فرض صحة نسبتها، فإن التبرُّك بها يكون على الوجه الصحيح الذي فعله الصحابةُ والتابعون رضي الله عنهم، وليس بإقامة الاحتفالات والمسح عليها ونحو ذلك مما ذكره شكيب أرسلان كما سبق بيانه؛ فإنه مخالفٌ للمنهج الصحيح.

---

[137] الآثار النبوية (ص79) أحمد تيمور باشا، دار الكتاب العربي.

[138] التوسل أنواعه وأحكامه (ص144) محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: محمد عيد عباسي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى 1421هـ.

[139] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم. حديث رقم (5866).

[140] الآثار النبوية (ص7).

[141] انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (ص256).

2/ بدع الذِّكْر والسماع:

إنَّ مِن أعظم الأعمال وأيسرها ذِكْرَ الله تعالى، وقد حثَّ النبيُّ –ﷺ– عليه، وجاءتْ نصوص القرآن بالدلالة على فضل الذِّكْر وعِظَم شأنه ومكانته عند الله.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب:41].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون:9].

أما ما ورَد في السنة النبوية فالشواهدُ متعدِّدة منها:

– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: (سبق المُفرِّدون، قالوا: ما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات)[142].

– وعن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه–، قال: قال النبي –ﷺ–: (مثَل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[143].

والنصوصُ من القرآن والسنة أكثرُ مِن تُحصى، "ولَمَّا كان الذِّكْر لله تعالى عبادة، فلا بد فيها – كشأن جميع العبادات – مِن تحقُّق أصلين عظيمين، أحدهما ألا يعبد إلا الله تعالى، والثاني ألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعةٍ لم يَرِدْ بها الشرع، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، كما قال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [سورة الملك :2]"[144].

لكنَّ الصوفيَّة حين ابتعدتْ عن منهج القرآن والسنة، قد ابتدعتْ لنفسها طُرُقًا أخرى للذكر، والطرق الصوفيَّة في عبادة الذِّكْر على مناحٍ شتى، فكلُّ طريقة من الطرُق الصوفيَّة قد ابتدعتْ لنفسها طريقةَ ذِكْر تخصُّها، ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تَرِدْ في نصوص السنة النبوية، بل إن بعض الطرُق قد اشتهرتْ بطريقة الذِّكْر الخاصة بها، كما عند الطريقة المَوْلَوِية.

ويتحدث الدكتور توفيق الطويل عن أهمية الذِّكْر لدى المُتصَوِّفة فيقول: "كان الذِّكْر آثَرَ العبادات عند أهل التصوُّف جميعًا إبان هذ العصر – أي: العصر العثماني – وإذا كان الغزالي يقول: إن تلاوة كتاب الله ليس بعدها عبادة تؤدى باللسان أفضل مِن ذكر الله، ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إليه تعالى[145]، فقد قام النزاع في العصر العثماني بين أهل التصوُّف بسبب المفاضلة بين ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، فقال قائلهم: إن الذِّكْر آثَرُ للمريد، أما تلاوة القرآن فأفضلُ للكامل الذي عَرَف عظمة ربه، ولا عبرة بما يراه البعضُ من إيثار تلاوة القرآن لأهل التصوُّف جميعًا، واتفقوا جميعًا على أن ذكر الله والاشتغال برياضة النفس أفضل من الاشتغال بالعلم (بالدين)، على أن عمدة الطريق الإكثار من ذكر الله؛ حتى لا يكون للمريد شُغل إلا بربه، وقالوا: إن الذِّكْر منشور الولاية أي: إنه "مرسوم يصدره الله لعبده بالولاية، كما يصدر ملوك الدنيا "مرسومات" بإلحاق كبار الموظفين في الوظائف الشاغرة، ومصادر

---

[142] أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله. حديث رقم (2676).

[143] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل. حديث رقم (6407).

[144] التبرك أنواعه وأحكامه (ص303).

[145] انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة (294/1).

التصوُّف في هذا العصر حافلة ببيان قيمته واللجاجة في تقديره وتقديسه"[146].

وقد غلا المُتصَوِّفة بالاعتقاد في الذِّكر، حتى قالوا: إن الذِّكْر يُسلِّم الذاكر إلى حضرة الله، فيضحى الحق سمعه وبصره وكل قواه، فينبثق العلم في نفسه، ويزايله الشك في أمره، ويصبح الاتصال بالله قويًّا بعد ضعفٍ، آمنًا بعد خوفٍ، بل تتسع قدرته حتى تتجاوز قوانين الكون، ونواميس الطبيعة ومنطق العقل!"[147].

وقد تعددتْ طرق الذِّكْر المبتدعة عند الصوفيَّة بناء على اختلاف الطرق، فمن طرق الذِّكْر:

1/الأوراد الصوفيَّة:

ابتدعتْ كل طريقة مِن الطرُق الصوفيَّة وردًا أو حزبًا خاصًّا بها، وتحتوي بعض الأوراد على كثير من الألفاظ الشِّركيَّة، والاستغاثة بغير الله، كما تخصص بعض الطرُق وِرْدًا أو ذكرًا معينًا يتم ترديده بعدد محدد ويترتب عليه أجرٌ أو شفاء مِن مرضٍ.

فالطريقة النَّقْشَبَنْدِية قد ابتدعتْ لنفسها أنواعًا متعددة من الذِّكْر؛ منها: الذِّكْر المفرد، والذي يقوم على ترديد اسم الذات المفرد الله، أو "هو هو"، وهذه الطريقة في الذِّكْر لم ترِدْ عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فهي طريقة غير مشروعة[148].

ثم إن الذِّكْر بهذه الصيغة لا يدلُّ على مدح أو تعظيم؛ لأن الاتيان بكلمة مفردة لا يفيد بلغة العرب، قال ابن القيم: "الذكر بالاسم المفرد (الله الله) غير مشروع أصلًا، ولا مفيد شيئًا، ولا هو كلام أصلًا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكرُ عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر: "الله الله" مِن أول عمره إلى آخره لم يصرْ بذلك مسلمًا، فضلًا عن أن يكون من جملة الذِّكْر أو يكون أفضل الأذكار، وبالَغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذِّكْر بالاسم المضمر أفضل مِن الذِّكْر بقولهم: "الله الله"، وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع مِن الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائر"[149].

هذا بالإضافة إلى أنَّ بعض مجالس الذِّكْر تَصْحَبُها الموسيقا والرقص، يقول الدكتور توفيق الطويل: "وقد كانتْ مجالس الذِّكْر إذا أُقيمتْ في هذا العصر بدأ المنشدون ينشدون الأشعار ليُلهبوا بها حماسة الذاكرين، وكان يملأ الكثير من هذه المجالس الطبول والنايات والأعلام والرايات"[150]، وهو أمرٌ مُشاهد في مجالس الذِّكْر عند الطريقة المَوْلَوِية.

كما ابتدع المُتصَوِّفة أدعيةً وأذكارًا، رتَّبوا عليها حصول أجر أو شفاء مِن مرض أو تفريج كربٍ، ومن ذلك قولهم في هذا الدعاء: "اللهم صلِّ على سيدنا محمد، صلاة تُنجينا بها من جميع الأهوال والأوقات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتُطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها من عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات

---

[146] التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص62).

[147] انظر: لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني، دار الكتب العلمية، (10)، التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص67).

[148] النقشبندية عرض ونقد (ص419).

[149] طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم (ص338) تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، زائد أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى 1429هـ.

[150] انظر: كشف النور عن أصحاب القبور، النابلسي، (ص55)، التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص66).

مِن جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات".

قال الحسن بن علي الأسواني: "مَن قال هذه الصلاة في كل مهم وبلية ألف مرة فرَّج الله عنه وأدرك مأموله"، كما قيل أيضًا في فضل هذا الدعاء: "مَن قاله في مهمة أو نازلةٍ ألف مرة فرج الله تعالى عنه، وأدرك مأموله، ومَن أكثر منها زمن الطاعون أمِن منه، ومن أكثر منها عند ركوب البحر أمِن مِن الغرق، ومِن قرأها خمسمائة مرة ينال ما يريد إن شاء الله تعالى، وهي مجربةٌ صحيحة في جميع ذلك، والله تعالى أعلم"[151].

وقال بعضهم أيضًا عن هذا الذِّكْر: "لا إله إلا الله"، مَن أصابه صداع وقاله ويدُه على رأسه مائة وخمسًا وستين مرة زال عنه الصداع! وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا عن والدته أنها كانتْ تسمع من صدر عمها عندما تضع أذنها عليه ترداد اسم الجلالة: "الله، الله، الله"[152].

ولهم أدعية يتلونها عند الكرب والضيق، ويقولون ما وقعنا في شدة واستخدمناها إلا فرج الله عنّا في الحال. منها: "أنا في جاه رسول الله"، "أنت وسيلتي، قلت حيلتي، فرج شدتي، أدركني وأغثني يارسول الله" "يا ظاهر ياعلي أشهدنا جمالك الجلي" تكرر كل واحدة من هذه الأدعية مائة مرة صباحًا بعد صلاة الفجر، ومائة مرة مساءً بعد صلاة المغرب[153].

ويتضح من هذا بُعد المنهج الصوفي عن المصادر الأساسية للعقيدة الإسلامية الصحيحة، فإن ما ابْتَدَعَتْهُ بعض الطرُق من الأذكار والأوراد، بعيدةٌ كل البُعد عن منهج الإسلام، ولم تَرِدْ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يُعلمها لأصحابه.

وقد ذكر الإمام القرطبيُّ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة الأعراف:55] مسائل عدَّةً، منها قوله: "الاعتداء في الدعاء على وجوه...، منها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظًا مفقَّرة، وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لا أصل ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسولُه عليه الصلاة والسلام، وكل هذا يمنع مِن استجابة الدعاء"[154].

إنَّ أفضل ما يذكر به المسلم ربه هو تلاوته لآيات القرآن، وقد وردتْ أحاديث تدلُّ على عِظَم هذا الذكر، فقد روى البخاري رحمه الله، أن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: "سمعت رسول الله –ﷺ– يقول: (لا حسد إلا على اثنين؛ رجل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالًا فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار)[155].

وأما أجرُ قارئ القرآن فالأحاديثُ متواترة ومتعددة؛ منها: قولُه –ﷺ–: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويَتَعَتْع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران)[156].

---

[151] انظر: أفضل الصوات على سيد السادات، يوسف النبهاني، دار أقرأ (ص81).

[152] انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، دار صادر(ص33) السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان، مطبعة ابن زيدون (ص52).

[153] انظر: جامع الأذكار والأوراد (ص180) فوزي محمد أبو زيد، دار الإيمان والحياة.

[154] الجامع لأحكام القرآن (248/9) محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1427هـ.

[155] أخرجه البخاري، كتاب فضائل القران، باب: اغتباط صاحب القران. حديث رقم (5025).

[156] أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر بالقران الذي يتعتع به. حديث رقم (7980).

والذكرُ المشروع الوارد في أحاديث السنة النبوية كثير، وقد عقد رواة الأحاديث أبوابًا في مُصنَّفاتهم خاصة بالأذكار المشروعة وفضلها، كما ألفتْ مُصنَّفات خاصة بالأذكار الواردة عن النبي مثل: عمل اليوم والليلة للنَّسائي، الأذكار للنووي، وغيرها الكثير.

إن أذكار المُتصَوِّفة المبتدعة خالية مِن الفائدة، وليس فيها تعظيمٌ لله سبحانه الذي هو أساس الذكر، وقد ألف الإمام ابن القَيِّم رحمه الله رسالةً أسماها "الوابل الصيب في الكلم الطيب" ضمَّن هذه الرسالة أكثر من مائة فائدة للذكر، كلٌّ واحدة منها كافية في تحريك القلب وتنشيط النفوس للقيام بهذه العبادة العظيمة[157].

بينما لا تكون هذه الفوائد قائمة في ذكر الصوفيَّة المبتدع، فلا لا يُراد بالذكر عند الصوفيَّة تنزيه الله؛ فإن لله الكمال المطلق، وما مِن شيء ينبغي أن يُنزه عنه، ومتى قصد الذاكر تنزيهه فقد ألحق به القبح بوهمه – تعالى الله عن ذلك – وليس يُراد به طلب الحق فالله موجود أبدًا، والمفقود هو الذي يُطلب، وإنما المراد بذكر الله أن يشهد الذاكر ليلًا ونهارًا أنه بين يديه، وأنه يرانا ويطَّلع على أعمالنا وأقوالنا وخواطرنا، وكل ما خلا ذلك مِن أطماع الذاكرين فهو سُوء أدبٍ![158].

2/ مجالس الذِّكْر وما تحويه من الرقص والغناء:

تُقيم بعض الطرُق الصوفيَّة مجالس الذِّكْر التي تقوم على الرقص وتَرْداد بعض الأذكار، أو الاسم المفرد "هو هو"، وتصحبها الموسيقا والغناء.

ويَذْكُر محمد رؤوف الشيخلي وصفًا لمجلسٍ مِن مجالس الذِّكْر عند أتباع الطريقة الرِّفاعيَّة في بغداد، "وأن الذاكرين في المجلس يُصاب بعضهم بغيبوبةٍ، فيتكلمون بكلام غير مفهوم، يقول عنه البعض إنه كلام بالسريانية أو الهندية، ويخرج من أفواههم زبد أبيض كالحليب، وهم قاعدون أو قائمون، وفي كلتا الحالتين يأتون بحركات غير اختيارية، كأن يترنحوا واقفين، أو يتمرَّغوا على الأرض، فيقول بعض الحاضرين: شهِّدوهم؛ أي: قولوا كلمة الشهادة في آذانهم مرارًا إلى أن يقولوها، وعند أدائها تذهب عنهم الغيبوبة رويدًا رويدًا، ويجلسون كأن لم يحدثَ بهم شيء، والبعض منهم لا يمكنون أحدًا مِن تلقينهم الشهادة، بل يبقون إلى أن يتوجهوا إلى أحد الجدران، كأنهم يبارزونه، ثم يأتونه راكضين، فيضرب الواحد منهم رأسه بالجدار، فالضربةُ الأولى تكون خفيفة، ثم تشتد بدرجة أن يكون لها صوت مسموع، فيبادر إليه أكثر من شخص، ولا يتمكنون مِن تلقينه الشهادة إلا بشق الأنفس"[159].

وأما في الطريقة المَوْلَوِية – التي اشتهرتْ بطريقة الذِّكْر فيها وهي طريقة تقوم على الرقص وعَزْف الناي – فيبدأ حفل السماع – والذي هو نوع من الذِّكْر عندهم – بإنشاد ترنيمة خاصة عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وهي بعنوان (النعت الشريف)، مطلعها: أنت حبيب الله...، ورسوله الخالق الأوحد...، ثم يبدأ العزف بالناي بترنيمةٍ خاصة، يحكي من خلالها قصة الناي ليثيرَ بها وَجْد العاشقين، وتلبية لنداء الناي يرفع الشيخ راحتيه متأثرًا فيضرب بهما الأرض مُعلنا بداية عزف الموسيقيين ودخول الدراويش لأداء الدوران والرقص، فيدخل الراقصون

---

[157] انظر: فوائد الذكر وثمراته، (ص32) عبد الرزاق البدر، دار الفضيلة.

[158] انظر: ردع الفقراء ودعوى الولاية الكبرى، الشعراني. دار جوامع الكلم (ص299)، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية (ص203).

[159] نهر الذهب في تاريخ حلب (281/1).

(الدراويش)، ويدورون عكس عقارب الساعة، ويدورون حول باحة الرقص ثلاث مرات، إشارةٌ إلى ولادة المولود الجديد بعد معاناة كبيرة، أما الدوران عكس عقارب الساعة فهو إشارة إلى تخلُّصه وتحرره من قيود الزمن، وهو بذلك يولد ليعود إلى مصدر انبعاثه، أما الدورات الثلاث فهي ترمز إلى مراحل التقرب إلى الله –عز وجل–، وهي "طريق العلم والمعرفة، وطريق الرؤيا، وطريق الوصال والمشاهدة"[160] .

وكانتْ مجالس الذِّكْر إذا أُقِيمَتْ في هذا العصر، يبدأ المنشدون ينشدون الأشعار ليُلهبوا بها حماسة الذاكرين [161]، وكان المُتصَوِّفة يَعْكُفون على هذه المجالس المبتدعة، ويُضيّعون أوقاتهم، ويصرفون جهودهم فيها، مع اعتقادهم أن هذه المجالس وأمثالها تجلب النصر للدين، والظفر لجيوش المسلمين، والحفظ لثغور البلاد[162]!

وحين عَرْض مجالس الذِّكْر الصوفيَّة على منهج العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ يتَّضح أن هذه المجالس مجالس بِدْعية بعيدة عن منهج الإسلام، وذلك من خلال الآتي:

أولًا: حكم الذِّكْر الجماعي:

اختلف العلماءُ في حكم الذِّكْر الجماعي على قولينِ:

القول الأول: إن الاجتماع للذكر وقراءة القرآن مُستحبٌّ؛ سواء في مسجد أو مدرسة أو رباط أو غيرها من المواضع، إذا لم يقترنْ ذلك ببدعةٍ كالذكر بصوت واحد، أو مصاحبة الذِّكْر بحركات مبتدعة كالتمايل والدوران وغيرها، أو إفراده بزمان ومكان معين، واتخاذ ذلك سنة راتبة.

وإلى هذا القولِ ذهَب الجمهورُ مِن الحنفية والشافعية والحنابلة، وهو القولُ الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيميَّة فقال: "الاجتماعُ لذكر الله، واستماع كتابه، والدعاء عمل صالح، وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات، لكن ينبغي أن يكون هذا أحيانًا في بعض الأوقات والأمكنة، فلا يُجعل ذلك سنة راتبة يُحافَظ عليها"، وقد استدل أصحاب القول الأول بعدة أدلة تدعم ما ذهبوا إليه[163].

القول الثاني: إن الاجتماع لقراءة القرآن وذكر الله تعالى مكروه، وقد نُقل هذا القول عن الإمام مالك، وقد رُوي رجوعه عنه.

وبهذا يتضح استحباب الاجتماع للذكر؛ شريطة خُلُوّه من البدع، وهو القول الراجح[164]، كما يتضح أن مجالس الصوفيَّة مجالس بِدْعيَّة؛ لِمَا تحويه مِن حركات مبتدعة كالدوران وغيره.

ثانيًا: أقوال العلماء في حكم مجالس الذِّكْر الصوفيَّة وما تحويه من الرقص:

من المهم النظر في أقوال العلماء في حكم ما يفعله المتصوفة في مجالس الذكر، من ضرب الدفوف، والرقص ونحوه، إذ بفتاوى العلماء تقام الحجة على المتصوفة وأتباعهم.

---

[160] الرقص الصوفي ورمزية الحركات الراقصة "المولوية أنموذج" (ص85) إياد حسين، عامر حسين، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثالث.

[161] التصوف في مصر إبان العصر العثماني (ص65).

[162] الانحرافات العقدية والعلمية (ص290).

[163] النقشبندية عرض ونقد (ص432).

[164] المرجع السابق (ص432).

1/ إن أهم ما يبدأ به مذهب الإمام أبو حنفية رحمه الله؛ إذ هو المذهب الذي تتبعه الدولة العُثمانية، ومذهبُه في ذلك أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظُ الأقوال، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها؛ كالمزمار، والدف، وحتى الضرب بالقضيب، وصرحوا بأنه معصية، توجب الفسق، وتُرد به الشهادة، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فِسْق، والتلذذ به كفر؛ فقال الحنفية بتحريم سماع الصوفيَّة فقالوا: "وما يفعله متصوفة زماننا حرام لا يجوز القصد والجلوس إليه"[165].

2/ قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: "وأما الرقصُ فلم يأمر الله تعالى به ورسوله، ولا أحد من الأئمة، بل قد قال الله تعالى على لسان لقمان: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [سورة الإسراء:37]، فالرقص شيءٌ مِن هذا، وقال تعالى على لسان لقمان: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[سورة لقمان:19]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[سورة الفرقان:63]؛ أي: بسكينة ووقار، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود، بل الدف والرقص في الطريق لم يأمُر الله تعالى به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة"[166].

3/ وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا أبو عمر، حدثنا قُرَّة، عن عطية، عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [سورة الأنفال:35] قال: المكاء: الصفير، والتصدية، والتصفيق [167].

4/ ومِن الجدير بالذكر: أن بعض العلماء في الدولة العُثمانية قد تصدَّوا لمجالس الذِّكْر الصوفيَّة، وما يحدث فيها مِن الرقص واستخدام المعازف وغيرها، ومن هؤلاء العلماء القاضي زاده أحمد بن عبد الله الرومي[168]، فيقول في شرحه لوصية محمد البركوي: "ومجلس السماع هو ذلك المجلس الذي يجتمع فيه زمرةٌ من المُتصَوِّفة، ويقرؤون فيه أبياتًا مُنَغَّمة ملحنة حسب قاعدة الموسيقا، ويتصايحون بما يحرك العشق في كلمات أشياخهم المنظومة، فليس يجوز حضور أمثال هذه المجالس، وبخاصة عند وجود آلات اللهو، من نايٍ، ودفٍّ، وطبلٍ، واختلاط الغلمان والعوام والأراذل فيه، فيصير عندئذٍ مجلس فِسْق تام والعياذ بالله، ويشتغلون فيه بالرقص والدوران! ومِن عجب أن متصوفة زماننا وهم الكُمَّل في مَرتبة الجهل والعناد يدَّعون محبة الله، ومع زعمهم هذا يَقْتَرِفُون الكبائر والقبيحات، ويجتمعون في بعض الأيام في بيوت سماعهم، يرقصون ويدورون على أنغام وألحان وأشعار أغنياتهم، وقد تحلق طائفة من العامة حولهم، يستمعون باهتمام إليهم، يعدون مشهد أمثال هذا المجلس الجامع لعظام القبائح، والعديد مِن الكبائر عبادة كبرى، ثم لا تجدهم يعدون استماعهم تلك النغمات ونظرهم إلى المُرْد الملاح واللذة الشهوانية الحاصلة من ذلك عيبًا يقبح إتيانُه، بل يزعمون أن ذلك من لذة العبادة وحلاوة ذكر الله، وفيضًا عظيمًا شعَّ منهم، نعوذ بالله تعالى!".

---

[165] انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، دار عطاءات العلم. (407/1) التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني (ص325).

[166] مجموع الفتاوى: (599/11).

[167] تفسير القرآن العظيم (52/2).

[168] احمد بن عبد الله الرومي، الحنفي، المعروف بقاضي زاده، من مؤلفاته: شرح الطريقة المحمدية، وشرح وصية البركوي، توفي عام 1197هـ. انظر: معجم المؤلفين (288/1).

كما كان أبو السعود أفندي مِن العلماء الذين تصدَّوا أيضًا لمجالس الذِّكْر عند الصوفيَّة إبان العصر العثماني، فقد ترجم الأستاذ محمد القونوي مجموعةً مِن فتاواه التي تتعلق بالرقص والدوران؛ منها:

"أ/ سئل أبو السعود: هل يجوز شرعًا لذاكرِ الباري عز وجل أن يذكره وهو يدور، وقد غلبه حال الوجد، وكان ذلك فيه بلا اختيار؟!

الجواب: لا يَصحُّ أن يكون بلا اختيار، وهو يدور ولا يسقط!

ب/ سؤال: ما حكم المُتصَوِّفة الموجودين في زماننا الذين يقولون بإباحة الدوران، ويسمونه توحيدًا، هل يكفرون؟!

الجواب: قد أفتى جماعة بكفر مَن قال بإباحة الدوران، لكن التوقف بتكفيرهم أقرب للاحتياط، وأنسب ألا يكفر إلا مَن قال: إنه عبادة.

فسئل: ما وجه لُزوم كفر القائلين بقُربيّة الدوران، وعدم لزوم كفر القائلين بإباحته؟

الجواب: المباح ليس مأمورًا به، أما العبادة فمِن المؤكد أنه مأمور بها، والقائل بحله لم يفتر على الله تعالى بقوله: إنه تعالى أمر به حتى يكفر، أما الذي يعدُّه عبادة، فذاك اللاعب العابث، فقد جمع إلى عبثِه ولعبه وحُرمته المقررة، وكفر الكفار المشهور وكمال مشابهته لهم، ودعواه أن ذلك أمر الله عز وجل يطلب الثواب عليه"[169].

5/ كما عرَّف الإمام الشاطبي البدعة بأنها: "طريقة في الدين مُخْتَرَعة، تُضاهي الشرعية، يُقصَد بالسلوك عليها المبالَغة في التعبد لله سبحانه".

وقوله في الحد: "تُضاهي الشرعيَّة" يعني: أنها تُشابه الطريقةَ الشرعيَّة مِن غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مُضادَّة لها مِن أوجهٍ متعددة؛ منها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذِّكْر بهيئة الاجتماع على صوت واحد[170]، فإذا كانتْ هيئة الذِّكْر التي اتخذها المُتصَوِّفة هي هيئة مبتدعة لم تَرِدْ في الشرع، فكيف بما يُصاحبها من أمور محرَّمة؛ كالمعازف والرقص ونحوها.

وللصَوّفية أدلة يوردونها للدلالة على جواز الرقص حالة الذِّكْر منها:

استدلالهم بفعل الحبَشة في المسجد بين يدي الرسول ﷺولم يُنكر عليهم، وكان رقصُهم بالوثبات والوَجْد؛ ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالتْ: (لقد رأيت رسول الله يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وأنا جارية، فاقدُروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ) [171]، وكان ذلك يوم عيد الفطر.

وممن بَيَّن بطلان هذا الاستدلال، وفَنَّد شبههم الأخرى، الأستاذ علي محفوظ في كتابه "الإبداع في مَضارِّ الابتداع"، فقال بشأن استدلالهم بفِعْل الحبشة: "هذا قولٌ باطلٌ مُناقضٌ لقواعد الشرع الشريف؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[172]، وقائلُه كأنه ممن يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، والاستدلال بفِعْل الحبشة في المسجد بحضرته –ﷺ– استدلال باطلٌ؛ لأن ذلك كان تمايلًا بالحراب للتدريب

---

[169] انظر: أخبار جلال الدين الرومي، أبو الفضل القونوي (ص66).

[170] الاعتصام (ص31) لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: هيثم خليفة، محمد الفاضلي، المكتبة العصرية.

[171] أخرجه مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد، حديث الرقم (892).

[172] أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم (4607) قال الالباني: حديث صحيح.

على استعمال السلاح كما شرعت المسابقة، وكما أبيح التبختُر في الحرب، وإن كان ممنوعًا في غيره؛ وأين هذا الرقص الذي هو هز المعاطف والأكمام، الذي لا يفعله إلا الفُسَّاق مِن العوام؟!

(قال في المدخل): وأما الرقص والتواجُد، فأول مَن أحْدَثَهُ أصحابُ السامِرِيّ؛ لما اتخذ لهم عجلًا جسدًا له خُوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العِجْل"[173].

6/قال الحافظ ابن حجر رحمه الله نقلًا عن القرطبي: "وأمَّا ما ابْتَدَعهُ الصوفيَّة في ذلك، فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبتْ على كثير ممن يُنسب إلى الخير، حتى لقد ظهرتْ مِن كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقُح بقومٍ منهم إلى أن جعلوها مِن باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يُثمر سني الأحوال، وهذا على التحقيق مِن آثار الزندقة وقول أهل المخرقة والله المستعان [174]".

8/ وقد سُئل العلامة حافظ حكمي – رَحِمَه الله –: إلى كم قسم تنقسم البِدَع في العبادات؟

فأجاب: "تنقسم إلى قسمين: الأول: التعبُّد بما لم يأذن الله أن يُعبد به البتة؛ كتعبُّد جهلة المُتصَوِّفة بآلآت اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرها، مما هم فيه مُضاهئون فعل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [سورة الأنفال:35]"[175].

ويتضح مما ذُكر أن هيئة الذِّكْر عند المُتصَوِّفة وما يُصاحبها من أمور مخالفةٌ للشرع، وليس لها سَنَد في فِعْل النبي ﷺأو أصحابه رضوان الله عليهم، وقد بيَّن العلماء –سواء أكانوا من علماء الدولة العُثمانية أم غيرهم كما تقدَّم – أن مجالس الذِّكْر الصوفيَّة هي أمور مبتدعة ليستْ مِن الإسلام في شيءٍ.

إنَّ مِن أخطر وأعظم الأسباب لهلاك الأمم السابقة وجود الشرك بها؛ لذا كان انتشارُ الشرك والبِدَع بين المُتصَوِّفة إبان العصر العثماني مِن أسباب سقوط الدولة العُثمانية [176].

وقد تحدَّث القرآن الكريم عن هذه الآفة الخطيرة لدى الأمم الهالكة، وكيف أُشربتْ قلوبهم، وعاندوا، وكابروا مِن أجلها، وكذَّبوا الرسل والأنبياء في سبيل التمسك بها والبقاء عليها، وكيف كان مَصيرُهم بعد الإنذار والإعذار؛ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [سورة الروم:42].

وفي هذه الآية يأمُر الله نبيه أن يخاطبَ هؤلاء المشركين من أمته ليسيروا في الأرض، وينظروا إلى مساكن مَن كان قبلهم ممن كان عاقبته الهلاك والبَوار، ليعتبروا بذلك ويتعظوا، وينتهوا عما هم عليه من الشرك، وقد ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ ؛ لبيان السبب الذي أورد أولئك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السببُ هو شِرْكهم بالله تعالى، قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ ، يقول الله تعالى: فعلنا ذلك – أي

---

[173] الإبداع في مضار الابتداع (ص298) علي محفوظ، تحقيق: سعيد بن نصر، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1421هـ.

[174] فتح الباري في شرح صحيح البخاري (442/2).

[175] أعلام السنة المنشورة (ص122) حافظ الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية المملكة العربية السعودية.

[176] سأل الشيخ ابن باز رحمه الله: عن الفرق بين الشرك والبدع؟! فقال: **الشرك** :هو بدعة أيضًا، الشرك ابتدعه المشركون يظنون أنه قربة، فالمشركون من الجاهليين سابقًا والمشركون الآن يحسبون أنه طاعة، وإنما هو بدعة يتقربون به إلى الله، يحسبونه ينفعهم وهو يضرهم، وهو أعظم الذنوب. انظر: الموقع الرسمي للشيخ ابن باز، فتاوى الجامع الكبير. فبالتالي ما إن يوجد الشرك في مجتمع ما إلا وتصحبه البدع.

الهلاك – بهم لأنَّ أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم[177].

وحين ابتعدتْ قلوب المُتصَوِّفة عن التعلُّق بالله وتعظيمه سبحانه وتعالى، وتعلقتْ بالشرك والخرافات والبِدَع؛ مرضتْ قلوبهم، فمن المعلوم أن البِدَع تورث أصحابها مرض القلوب، وقسوتها، فقد ذكر الشاطبي عن الحسن أنه قال: (لا تجالس صاحب بدعة؛ فإنه يمرض قلبك)، وعن أبي قِلَابة أنه قال: (لا تُجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمَن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) [178].

واكتفى المُتصَوِّفة بمجالس الذِّكْر وأورادهم الخاصة التي ابتدعوا لها أجورًا من عند أنفسهم، وانعزلوا بذلك عن أحداث عصرهم، وقتال أعداء الإسلام، وأضاعوا أوقاتهم وأعمارهم في مجالس الرقص والسماع، وضاعتْ عبادة السعي في مناكب الأرض، وطلب الرزق، والجهاد، وطلب العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما كان له أثرٌ في سقوط الدولة العُثمانية، فإن انعزال المُتصَوِّفة عن المجتمع العثماني، وإحداثهم أمور بِدْعيَّة ليستْ مِن الدين في شيء، قد صرَفهم عن التعلق بالله تعالى، ونهج الطريق القويم، والمساهمة في رفعة الأمة الإسلامية.

- **الخاتمة:**

– إنَّ جل الدراسات التي ناقشت سقوط الدولة العثمانية اهتمت بالناحية التاريخية، وأغفلت الجانب العقدي المهم في سقوط الدولة العثمانية.

– إنَّ انحرافات التصوف العقدية قد تعدَّدتْ فكان لها أثرها في سقوط الدولة العثمانية، من أبرزها اعتقاد المتصوفة بعقيدة وحدة الوجود.

– كان لاعتقاد المتصوفة بعقيدة وحدة الوجود أثر في سقوط الدولة؛ إذ دعا أئمة الطرق الصوفية إلى العزوف عن الدنيا بالكلية، بل والسعي إلى خرابها نتيجة اعتقادهم بأن الأعمال الدنيوية عوائق تحول بين المريد وغايته.

– إن نظرة التصوف المنحرفة إلى الدنيا، واعتقادهم أن التفرغ التام للذكر والعبادة أكمل للوصول إلى غايتهم أدت إلى احترام البطالة، وإباحة التسول.

– ابتدع المتصوفة طريقًا مخالفًا لمنهج العقيدة الإسلامية، حيث سلكوا طرقًا أخرى لتلقي العلوم كالاعتماد على الذوق، والكشف وغيرهما، مما تسبب في تأخر الدولة علميًا.

– اعتمد المُتصَوِّفة على مصادرَ مخالفة للقرآن والسنة، وقد ترتَّب على ذلك انحرافُهم في أصل التوحيد، فانتشر بينهم الجهل والبِدَع والأمور الشركية.

التوصيات:

أجد الحاجة ماسة للانتباه للجانب العقدي في دراسة التاريخ، وتسليط الضوء أولًا على أهمية قراءة التاريخ، وللانتباه ثانيًا إلى بعض الانحرافات العقدية التي قد يغفل عنها المرء، في حين أنها في الأصل تعد سببًا

---

[177] أسباب هلاك الأمم السابقة كما وردت في القرآن الكريم (ص108) سعيد محمد سيلا، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1420هـ.

[178] الاعتصام (ص60).

من أسباب سقوط بعض الدول، كما تجدر الإشارة والتوصية إلى تكملة هذه الدراسة بدراسات أخرى تعنى بالجانبين العقدي والتاريخي، وإني أوصي أن تكون هناك دراسات فيما يأتي:

- موقف الصوفية من حملات التغريب في الدولة العثمانية.
- حصر جهود علماء الدولة العثمانية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، فالعصر العثماني تميز بوجود علماء اعتنوا بالعقيدة الصحيحة، ولم يتأثروا بمعتقدات التصوف الباطلة.

- **المراجع:**

- الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا، دار الكتاب العربي.
- أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار الزكار، دار الكتب العلمية
- أبحاث في تاريخ لبنان، عصام خليفة، دار نوفل، الطبعة الأولى 2010.
- إتحاف أهل الزمان، أحمد بن أبي الضياف، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ.
- الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، تحقيق: سعيد بن نصر، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1421هـ
- أخبار جلال الدين الرومي، أبو الفضل القونوي.
- أسباب هلاك الأمم السابقة كما وردت في القرآن الكريم سعيد محمد سيلا، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1420هـ.
- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: هيثم خليفة، محمد الفاضلي، المكتبة العصرية
- أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية المملكة العربية السعودية
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، دار عطاءات العلم.
- أفضل الصوات على سيد السادات، يوسف النبهاني، دار أقرأ.
- الانحرافات العلمية والعملية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري، علي بخيت الزهراني، دار الرسالة للنشر، بدون تاريخ.
- الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية، يس السنهوتي النقشبندي، مطبعة السعادة
- البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية، محمد الخالدي.
- تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الاسلام الاول الى عصر فاروق الأول، حسن السندوبي
- تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أزتونا، ترجمة: عدنان محمود، منشورات مؤسسة فيصل. إستانبول 1988.
- تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، خليل إنجاليك، ترجمة: محمد الأرناؤوط، المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2002م.
- تاريخ عجائب الآثار، في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، تحقيق: حسن جوهر، وعمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب. بدون تاريخ.
- التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد.

- التصوف في مصر إبان العصر العثماني، توفيق الطويل، مطبعة الاعتماد، الناشر مكتبة الآداب، بدون تاريخ.
- التصوف وآثاره في تركيا، حنان الغامدي، رسالة مقدمة لجامعة أم القرى للحصول على درجة الدكتوراه في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة، إشراف: الدكتور عبد الله الدميجي.
- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد. محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: أبي العباس محمد بن جبريل، دار الإمام الوادعي، الطبعة الأولى 1430هـ
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار القلم، الطبعة الأولى 1403هـ.
- التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: محمد عيد عباسي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى 1421هـ
- تيسير العزيز الحميد، سليمان عبد الله، تحقيق: أسامة عطايا العتيبي، دار العصيمي، الطبعة الأولى 1424هـ
- جامع الأذكار والأوراد، فوزي محمد أبو زيد، دار الإيمان والحياة.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1427هـ
- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية. شمس الدين الأفغاني، دار الصميعي، الطبعة الأولى 1416هـ
- حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، تحقيق: شكيب أرسلان، عجاج نويهض، دار الفكر
- حقائق عن التصوف، عبد القادر عيسى، دار العرفان، الطبعة السادسة عشر 1428هـ.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، دار صادر.
- خمرة الحان ورنة الالحان في شرح رسالة الشيخ أرسلان، عبد الغني النابلسي.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد
- دليل الاستانة، م. شكري، مطبعة جرجي
- دوحة الناشر في محاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد عسكر الحسني، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب.
- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجموعة من المؤلفين، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ، إستانبول 1999م.
- الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، علي الصلابي، دار التوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ
- الدولة العثمانية المجهولة، أحمد آق كوندز، وقف البحوث العثمانية، إستانبول 2008م.
- الرحلة الحجازية، محمد لبيب، مطبعة المعارف.
- ردع الفقراء ودعوى الولاية الكبرى، الشعراني. دار جوامع الكلم.
- الرقص الصوفي ورمزية الحركات الراقصة "المولوية أنموذج" إياد حسين، عامر حسين، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثالث.

- روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي البرسوي. دار الكتب العلمية.
- سلطان حكم العالم. طلحة أغورلو إل، ترجمة عبد القادر عبد اللي، وزارة الثقافة في الجمهورية التركية، الطبعة الأولى 1436هـ
- سنن الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر.
- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد الالباني، المكتب الإسلامي.
- السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان، مطبعة ابن زيدون.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط –بشار معروف، مؤسسة الرسالة، سنة النشر 1402هـ.
- شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة 1433هـ
- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الطبعة الرابعة 1403هـ.
- الطبقات الوسطى، تاج الدين السبكي، دار ابن عفان.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، زائد أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى 1429هـ
- الظل الممدود شرح رسالة وحدة الوجود، عبد الغني النابلسي، مخطوطة بمكتبة الملك فهد الوطنية برقم م4 – 9054.
- العثمانيون في التاريخ والحضارة، محمد حرب، المركز المصري للدراسات العثمانية.
- عقيدة الصوفية ووحدة الوجود الخفية، أحمد القصير، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1424هـ.
- عقيدة التوحيد وبيان ما يُضادها، صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى 1434هـ.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، رسالة قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود لنيل درجة الماجستير، إشراف: عبد الله الغديان.
- العلم وبناء الأمم، راغب السرجاني. مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى 1428هـ
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار الكتب السلفية، بدون تاريخ.
- الفتوحات المكية، ابن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب العواجي، المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الرابعة 1422هـ.
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثالثة 1406هـ.
- فوائد الذكر وثمراته، عبد الرزاق البدر، دار الفضيلة.
- قيام الدولة العثمانية، محمد فؤاد كويرلي، ترجمة أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي
- كشف النور عن أصحاب القبور، النابلسي.

- الكواكب السائرة، محمد الغزي، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418هـ.
- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، علي الوردي، مطبعة أمير قم، الطبعة الأولى 1413هـ
- اللمع، لأبي نصر الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، دار الكتب الحديثة بمصر
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني، دار الكتب العلمية.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، الكتاب العربي.
- مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها، عبد العزيز العظمة، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، دار رياض الريس.
- مصادر التلقي عن الصوفية (ص78) هارون صديقي، دار الراية، الطبعة الأولى 1417هـ
- المصادر العامة للتلقِّي عند الصوفية عرض ونقد، صادق سليم، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1415هـ.
- معجم التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
- معجم التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
- معجم المؤلفين، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1414هـ.
- معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحنفي (ص225) دار المسيرة، الطبعة الثانية 1407هـ
- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى. 1420هـ.
- المعسول، محمد مختار السنوسي، مطبعة الدار البيضاء.
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن قائد، دار عالم الفوائد
- موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، علي السيد الوصيفى، دار الإيمان.
- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1429هـ.
- النقشبندية عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، شريفة فؤاد الشريف، إشراف: الدكتور يحيى محمد ربيع، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة أم القرى.
- نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل حسين الغزي، المطبعة المارونية، بدون تاريخ.
- نواقض الإيمان القولية والعملية، رسالة علمية مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود لنيل درجة الدكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، عبد العزيز العبد اللطيف

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 3, Issue 2, December 2025, pp. 249-291
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الثالث، العدد الثاني، ديسمبر 2025م، ص 249-291

The Doctrinal Deviations within Sufism and their Impact on the Decline of the Ottoman Empire

Bayan Abdul Rahman Al-Othmani
Researcher
King Abdulaziz University, Jeddah

Abstract
This research aims to identify the most significant doctrinal deviations within Sufism and to examine the role of deviant Sufism in the decline of the Ottoman Empire. Its importance lies in the fact that most of the doctrinal conditions prevalent during the Ottoman era are still present in our time, necessitating a study of these doctrinal deviations to safeguard and protect Islamic creed. The nature of the topic required the use of multiple methodologies commonly employed in theoretical academic studies. The research revealed several findings, including: that most studies discussing the decline of the Ottoman Empire focused on historical aspects and neglected the crucial doctrinal dimension in its collapse. Furthermore, the doctrinal deviations of Sufism, which influenced the decline of the Ottoman Empire, were numerous, most notably the Sufis' belief in the doctrine of pantheism (wahdat al-wujūd). The Sufis relied on sources contradicting the Qur'an and Sunnah, which led to their deviation in the fundamental principle of monotheism (tawḥīd), resulting in the spread of ignorance, religious innovations (bidʿah), and polytheistic practices (shirk) among them.

Paper Information
Date received: 15/06/2025
Date accepted: 30/07/2025
Date issued: 03/01/2026

Keywords
Ottoman Empire, Sufism, polytheism (shirk)

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences